١. مقدمة المترجم

يشتمل هذا البحث على جزئين (١ و ٢). الجزء (١) يتكون من مقدمة تمهّد للبحث، و معلومات أساسية عن الكتاب موضوع البحث، و توضيح للهدف من البحث إضافة الى مسوغات اختيار كتاب جوليان هاوس *الترجمة* ليكون موضعا لهذه الدراسة. يتناول القسم الأول كذلك رؤية علم اللّغة التطبيقي الناقد للترجمة، ثمّ يوضح باقتضاب الطريقة التي اتبعت في أداء العملية الترجمية نفسها. أما الجزء (٢) فهو الأساس و ينصرف بكليته الى ترجمة ثلاثة أبواب (الباب الأول و الباب الثاني و الباب الثالث) في القسم الأول للكتاب موضوع الدراسة (*Translation*). يعقب ذلك قائمة بالمصطلحات المستخدمة ثمّ ثبت بالمراجع و الملحقات (النّصّ الأصلي).

فالترجمة ينظر اليها على أنها جزء من الواقع الثقافي العام (عبد الرحمن السليمان ٢٠٠٦) ، وهي بذا تكون مرتبطة بشرطه العام تأثرا و تأثيرا. و العالم العربي أحوج ما يكون في حاضره لنشاط ترجمي متزايد يجسر الهوّة ما بينه و العالم المتقدم المنتج لأدوات المعرفة و الحضارة المعاصرة إن أريد له تفادي البقاء خارج إطار الفعل الحضاري لمدة تتجاوز طولها الراهن. و الترجمة هي كذا مجال رئيس من مجالات كل ثقافة حيوية عبر التأريخ ولا أدل على ذلك من أن الأمم المتقدمة في عالمنا اليوم هي الأكثر حرصا على الترجمة والأبعد شأواً على هذا الصعيد؛ بل و إنّ الحضارة العربية الإسلامية ذاتها و في أوج ازدهارها اقترنت بنشاط ترجمي واسع سعى لنقل الموروث الإغريقي إلى عرينها. و في إطار هذا السياق الكلي أُجريّ هذا البحث المبسط و القاصد الى ترجمة ثلاثة أبواب من كتاب (Translationالترجمة) للكاتبة الألمانية جوليان هاوس و ذلك سعيا الى المساهمة في رفد المكتبة العربية بمدخل لموضوع حيوي أغفل حينا دونما مسوغ بائن.

١.١. الكتاب موضوع البحث

العنوان:Translation
المؤلف: Juliane House
الناشر: Oxford University Press
سنة النشر:٢٠٠٩
محرر السلسلة: H.G. Widdowson
تقسيم الكتاب: ٤ أقسام يحتوي بعضها على أبواب تختتم بملخص لأهم النقاط الواردة في الباب
الأبواب المستهدفة: الباب الأول، الباب الثاني و الباب الثالث من القسم الأول

٢.١. الهدف من البحث

الهدف من وراء ترجمة هذا الكتاب هو رفد المكتبة العربية بمقدمة لنسخة معربة من كتاب يحتاجه دارس الترجمة و كذا المهتمّ بها لما فيه من تناول علمي لموضوع الترجمة. كذلك يهدف تناول هذا الكتاب الى الربط بين الترجمة و علم اللّغة التطبيقي من خلال الإشارات الواردة في الجزء (٤.١.) السابق لترجمة الكتاب في هذا البحث.

٣.١. مسوغات اختيار الكتاب:

وقع الاختيار على كتاب *Translation* لـ جوليان هاوس لمظنّة إحتوائه على منظور مهم لمفهوم و عملية الترجمة حيث يتطرق الباب الأول لشرح مفهوم الترجمة متناولا التعريف بطبيعتها (nature of translation) و أنواعها (kinds of translation) ثم يعقد مقارنة بين مفهومي (الترجمة التحريرية و الترجمة الشفهية (translation and interpretation) قبل أن يتعرض لمفهومين آخرين على قدر مناسب من الأهمية في عصرنا الراهن و هما مفهوما الترجمة البشرية و الترجمة الآلية (Human and machine translation). ويُختتم ذا الباب نفسُه بتناولٍ سريع، إلا أنه عميق، لعلاقة الترجمة بالثقافات و كيفية مدّها لآصرات التواصل فيما بين المختلف من الثقافات.

أما الباب الثاني، فبسلاسة و استشهادات معتبرة يقعّد تقعيداعلميا بعضا من منطلقات الترجمة (Some perspectives of translation)؛ فتحت هذا العنوان الجانبي تشرح الكاتبة المتخصصة هاوس أربعا من المنظورات (perspectives) التي تتخلق و من ثم تتولد عبرها الترجمات، و هي:

١) النص الأصلي كمنطلق (Focus on the original text) - يتسايج وفقه النّصّ فقط بمكنون اللفظ و التراكيب؛
٢) الترجمة كمسارحيث (Focus on the process of translation) - يتجاوز النّصّ الى الفاعل البشري مبدعا أو ناقلا او متلقيا؛
٣) الترجمات الرديفة (Focus on variable translations) - و التي يكون المعوّل فيها على العوامل و الافتراضات الثقافية المسبقة؛
٤) هدف الترجمة (Focus on the purpose of translation) - حيث لا دالة للأصل على المستهدف منالنّصّ.

أما ثالث الأبواب فيتناول مسهبا شيئا ما بالتحليل و النّظر المتأني مفهوم التكافؤ في الترجمة (Equivalence in translation)، فيُعرض لأنواع التكافؤ المختلفة لافتا النظر لمحدودية البديل المقابل في الاستيعاب و الاشتمال.

على وجه العموم، يتميّز الكتاب بوضوح تصميمه و تقسيمه و منظوره التعليمي(didactic perspective) و يقدم مدخلا مناسبا (للدارس و الممارس) للتعرف على ما تنطوي عليه الترجمة و العملية الترجمية.

٤.١. الترجمة و علم اللّغة التطبيقي الناقد

و مما دفع في اتجاه اختيار هذا الكتاب للترجمة هي حقيقة كونه كتابا محايدا ثقافيا (culturally) لا تعتوره محاذير الحمل الثقافي التي ينبه إلى الإحتراز منها أصحاب مدرسة اللغويّات التطبيقية الناقدة (Critical Applied Linguistics) و هي مدرسة الخط الناقد/المتفكر الكلي و الذي ينادي بعدم استخدام اللغة (تدريسا أو ترجمة) في تكريس الواقع المخلوق بفعل جهات

(استعمارية كانت أو متنفذة) تسعى لتأمين مصالحها أو نفوذها؛ و في هذا الإطار يقول بعض مناصري هذه المدرسة معرفين نهجهم اللغوي الناقد:

الترجمة العربية	النص الإنجليزي
علم اللّغة التطبيقي الناقد هو "مجال يتناول استخدام اللّغة في الأطر المهنية و الترجمة و أمراض الكلام و تعليم القراءة و الكتابة و اللّغة" (بينيكوك ٢٠٠١، ص ٢) فهذا العلم (CALx) يتعدى مجرد كونه تطبيقا للمعرفه اللّغوية في المجالات آنفة الذكر ليكون أقرب الى مجال عمل يجمع مساقات متعددة تستفيد دون حصر من مساقات علم الاجتماع و التربية و علم المجتمعات و الدراسات الثقافية و علم النفس (المرجع السابق)	Critical applied linguistics (CALx) is "an area of work that deals with language use in professional settings, translation, speech pathology, literacy, and language education" (Pennycook, ٢001, P. 2). CALx goes beyond being mere application of linguistics knowledge to the settings mentioned; but, rather, it is an interdisciplinary domain of work that draws, without being dependent, on disciplines such as sociology, education, anthropology, cultural studies and psychology (Pennycook, 2001).

إذا ، فهذه المدرسة لا تقصِر اللغة على الصف الدراسي فقط ، بل تمد نظرها ليشمل الترجمة فيما يشمل. و يلحظ أيضا ، أن هذه المدرسة تميّز بجلاء و قوة ما بين التقليدي من اللغويات التطبيقية (mainstream applied linguistics) و ذلك النهج الذي تدعو اليه هي نفسها من طرح لمشكل السلطة واللآمساواة في المجتمع، و من بذر لبذور الوعي لتفادي الوقوع في حبائل الحداثوية و التي حسب رؤيتهم تدّعي الدعوة الى التحرر (emancipation) من ربقة القصص الكبرى أو ما يعرف بـ (grand theories)؛ و يوضحون ذلك بقولهم:

الترجمة العربية	النص الإنجليزي
نّ علم اللّغة التطبيقي الناقد يتميّ عن علم اللّغة التطبيقي المعتاد بتخطيه حدود التطبيق المجرد للمعرفة اللّغوية في مجال التدريس و طرق اكتساب اللّغة الثانية: فهذا العلم (CALx) يثير قضايا السلطة و اللامساواة المجتمعية بهدف رفع الوعي و، في ذات الآن، تفادي الوقوع في مطبات رؤية الحداثويين للتحرر. (المرجع السابق)	CALx is distinguished from mainstream applied linguistics in the sense that it transcends the mere application of linguistic knowledge to the domain of language teaching and second language acquisition: CALx questions issues of power and social inequality with a view to raise awareness and, simultaneously, to avoid the pitfall of modernist notion of emancipation. (Pennycook, 2001)

لا ريب أن هذه المدرسة لها من الأصل ما يعترف بأنه ماركسي على حد تعريف أصحابها، إلا أنّ مما يُتفق معها فيه هو منحاها نحو بسط الوعي بهيمنة دوائر السيطرة و الاستعمار و التي اتخذت حاليا ثوب اللغة دثارا يكرس لها:

الترجمة العربية	النص الإنجليزي
تعلم اللّغة التطبيقي يعود في أصله الى نهج فكري في العلوم الاجتماعية يعرف بـ "النظرية الناقدة" (ووترز، دون تاريخ). و تتوافق هذه النظرية مع مبادئ الماركسية المتعلقة بالتحليل السياسي للأطر الاجتماعية و الثقافية و هي التي ترى أنّ الحياة المعاشة محفوفة باللا مساواة و غياب التوازن في القوى (براون ٢٠٠٦). و ممارسة الهيمنة من قبل بعض الدوائر النافذة (الشركات و الحكومات و غيرها) يجعل من علائق هذه الدوائر مع المسحوقين علائق قائمة على الاستغلال و السيطرة. و في اطار الموروث الغربي أضافت مدرسة فرانكفورت و مفكرون ماركسيون جدد (من أمثال هوركهايمر و ولتر بينجامين و إيريك فروم و هيربيرت ماركيوز و جورقان هابرماس) نظرات ماركسية أكثر تعقيدا فيما يتعلق بالمفهوم الأيدولوجي لتحليل النفسي لكل من اللاوعي و أشكال الهيمنة السياسية و تشكيل الفكر التي تمارسها بعض أنماط المدارس الوضعية و العقلانية (بينيكوك، ٢٠٠١).	Ultimately, CALx stems from a line of thinking within the social sciences known as ‘Critical Theory’ (CT) (Waters, n.d.). CT is squarely grounded in the Marxist principles of political analysis of social and cultural structures which see the world-life as being beset with injustices and power imbalances (Browne, 2006). The exercise of hegemony by more powerful constituencies (businesses, government and others) renders these constituencies’ relationships with the underdogs exploitive and domineering. The Frankfurt School and other Neo-Marxists thinkers as Adorno, Horkheimer, Walter Benjamin, Erich Fromm, Herbert Marcuse and Jürgen Habermas, in their western tradition, have included more complex understandings of the Marxist concept of ideology with regards to the psychoanalysis of the subconscious, popular culture and forms of political control, and the shaping of thinking by some forms of positivism and rationalism (Pennycook, 2001).

و يُدلّل على أهمية اللّغة (في منتوج الترجمة مثلا) بكون حالها حمّالة للفكر و استخدامها (في الترجمة نقلا أو شرحا أو فيما يترجم إبتداءا) بوعي و إدراك ييسر أمر التفاعل مع القضايا و يقود الى تغيير الواقع عوضا عن تكريسه:

الترجمة	النص الأصلي
فطالما أنّ التفكر يقوم على اللّغة، فإنّ أي تعاطي من خلال الترميز مع قضايا على شاكلة اللامساواة و الظلم و الصواب و الخطأ في عالم المجتمعات ليستصحبمعه علم اللّغة التطبيقي. فهذا العلم، بنهجه في اثارة القضايا، ينظر إليه كلاعب رئيس في تخفيف وطأة الهيمنة و من ثَم تغيير الواقع (بوستر كما أورد بينيكوك ٢٠٠١)	As thinking is mediated via language, then any symbolic engagement with questions of inequality, injustice, rights, and wrongs in the social world avails itself of CALx. CALx, with its problematization trend, is seen to play a major role in alleviating the pains of hegemony and, further, in changing the status quo (Poster, 1989 as cited in Pennycook, 2001).

فتغيير الواقع بحسب هذه المدرسة لا يتأتى إلا بتقليب النظر في المسلمات بدءا:

الترجمة العربية	النص الإنجليزي
فتغيير الواقع يعدّ خيال، أو في أحسن الأحوال، عمل ينطوي على ترفع إن لم تمارس فيه "مَشكلة المسلمات" (ترودي، ٢٠٠٣). و خلافا لقصص الحداثويين و أهل النظرية الناقدة الذين يقدمون "نسخ علوية بديلة للعقلانية" (ديين ١٩٩٤ كما أورده بينكوك ٢٠٠١) فعلم اللّغة التطبيقي يسعى دون هوادة لفحص المسلمات و يرمق بعين الشكّ كل ما طُبّع من افتراض أو مفهوم أو فكرة (المرجع السابق). فالأرض الممكنة للحق البديل ليست هي ما يرتجى وفق علم اللّغة التطبيقي الناقد، بل تفحص المعاني و الأشياء القارة في الثوابت اليومية من قبيل اللّغة	Changing the status quo is thought to be a fantasy or, at best, a patronizing endeavour if "problematizing of the givens" (Troudi, 2003) is not exercised. Contrary to modernist narratives and the Critical Theory that offer "an alternative, higher version of rationality" (Dean, 1993 as cited in Pennycook, 2001), CALx is restively seeking to question the taken for granted; to turn a skeptical eye on every naturalized assumption, notion or idea (Dean, 1994 as cited in Pennycook, 2001). The stable ground of an alternative truth is not sought according to CALx, but rather the questioning of

و التعلم و التواصل و التعليم و التقويم و غيرها هو ما يرتجى (بينيكوك، ٢٠٠١). إنّ داعاة علم اللّغة التطبيقي يدينون بأهمية ممارسة عملية النظر إلى الذات منعا لبسط هذا الخط في التفكير (و هو يصف الإجراءات و يقترح المستقبل البديل) و كأنّه أصولية جديدة؛ و بعبارة أخرى، فناقوس الحذر يدق درءا للوقوع في شراك "أبهة الحداثويين المقلقة" (المرجع السابق).	the meanings and things maintained by everyday categories such as language, learning, communication, literacy, assessment and others (Pennycook, 2001). Proponents of CALx believe it is essential to practice self-reflexivity as well to avoid projecting this line of thinking as a new orthodoxy when prescribing procedures and proposing preferred futures; in other words, cautions are raised against falling in the trap of the 'troubling modernist grandiosity' (Pennycook, ٢001).

فكما تؤكد هذه المدرسة ، لا يتحقق ذلك الانعتاق إلا بالنظر الأوسع الى مجالات اللغة بما فيها الترجمة (و في حال بحثي هذا ما يُختار لبسطه بين يدي قارئ العربية)؛ و بعبارات أخرى:

الترجمة العربية	النص الإنجليزي
نّ علم اللّغة التطبيقي الناقد حين يربط التطبيقات اللّغوية بالمجالات الاجتماعية و الثقافية و السياسية الأوسع، إنّما يتناول بالعين الناقدة مجالات من قبيل التعليم و تدريس اللّغة و اختبارات اللّغة و التخطيط للّغة و الحقوق المرتبطة باللّغة و تحليل الخطاب و الترجمة و سياقات أماكن العمل. و تكون قضايا كقضايا بلوغ الحقوق، و السلطة، و الاختلاف، و الرغبات، و الخلافات، و المقاومة ذات أهمية مركزية حين نربط السياقات الصغرى بالسياقات الكبرى إبان عملية معالجة النّصّ و السياق	In relating aspects of applied linguistics to broader social, cultural and political domains, CALx looks critically at the areas of literacy, language teaching, language testing, language planning, language rights, discourse analysis, translation, and workplace settings. Questions of access, power, disparity, desire, differences and resistance are central when relating the micro to the macro in the process of textual/contextual treatment.

فإن الإدراك و عدم ابتسار النظر لَيَسُدُّ ثغرة لا تزال نافذة يتسلل منها التغريب و الاستلاب و ما يتبعه من شعور بالدونية تهيئ مدخلا لاستعمار جديد لا حديد فيه و لا نار بل فكر و كلمات. إنّ اختيار ما يُترجم ثمّ الطريقة التي يترجم بها هي كواسر الأمواج التي تسهم في صد تيارات تكريس الأمر الواقع و الذي تسعى اليه، بحكم طبيعة الأشياء، دوائر أهل المصلحة و قوى الهيمنة.

١.٥. الطريقة

اعتمد الباحث في ترجمته لهذا الكتاب ذاتَ الإستراتيجيات التي تطرحها مؤلفة كتاب *الترجمة* موضوع البحث هذا. فمرّت عملية الترجمة أول ما مرّت به هو المراحل الثلاث: فهم النص ثمّ تفسيره ثمّ ترجمته (House,2009). و الغرض من هذه المراحل الثلاث هو محاولة الوصول الى التكافؤ المناسب بين النّصّ الأصلي و المترجم؛ و لذلك المسعى، تضمن عمل المترجم ما يلي:

١- دراسة النّصّ الأصلي دراسة وافية
٢- وزن و تقويم تأثير الأسلوب
٣- دراسة المقابلات المحتملة بهدف اختيار انسبها
٤- اعادة بناء مضمون الرسالة
٥- العودة من آنٍ لآخر الى النّصّ الأصلي للتأكد من استيفاء كامل العناصر به

أما على صعيد التقنيات (Techniques) التي أتبعت في الترجمة فترددتْ بين طرق الترجمة المباشرة و طرق الترجمة غير المباشرة و التي هدفت كما يقول بازنيت-ماكقوير إلى:

الترجمة العربية	النص الإنجليزي
أدائية الترجمة و التي تتشكل من 'اعادة الإنتاج لغويا "الأدائية" النّصّ' (بازنيت-ماكقوير، ١٩٨٥، ص ٩٠)	Translating performability which consists of 'reproducing linguistically the "performability" of the text' (Bassnett-McGuire, 1985, p. 90).

و لا يتأتى ذلك (إعادة الإنتاج اللّغوي لأدائية الأصل) إلا بسبك نصٍّ يكون طَلِقًا في اللّغة الهدف يُضطر فيه أحيانا كما يقول بازنيت الى تغيير نكهة النّصّ و التخلي عن فقرة أو بعضها تكون موغلة في ثقافة أو لغة المصدر (المصدر السابق).

و لتحقيق هذه الطلاقة في الترجمة و البعد ما أمكن عن الأثر الجانبي فيها، نحى المترجم نحوا اعمل فيه ما يعرف بالتغيير اللّغوي (Linguistic differentiation) و ذلك على مستويَيّ المفردة و التركيب و هو عين ما أشارت إليه جوليان بـ Translation shifts (House, 2009, p. 17).

تقنية أخرى وردت في كتاب جوليان هاوس لجأ إليها المترجم تمثلت في الإفادة من الترجمة الآلية بالتصور الذي أوردته الكاتبة نفسها. فكما أشارت الكاتبة يمكن للمختص أن يستخدم الترجمة الآلية لتوليد نسخة غير مشذبة يعمل فيها معرفته بالمجال لفهم النّصّ بالصورة الصحيحة (House, 2009).و قد أعمل المترجم هذه الآلية حين التعامل مع المقاطع الألمانية من النّصّ. فتخصص المترجم في التربية و تدريس اللّغة الإنجليزية ساعد على تجاوز معضلة اللّغة الألمانية خاصة و أنّ الأمثلة التي تمّ التعامل معها ترتبط بمقارنة التراكيب اللّغوية، و دارس اللّغويات (linguistics) يمكنه التعامل مع الـ (morephemes) أي أصغر وحدات التركيب اللّغوي- و إن لم يلمّ باللّغة و ذلك عن طريق اجراء المقارنات و المقابلات (انظر الجزء ٢، الباب الأول و الباب الثاني و الباب الثالث).

ففنيات الترجمة هذه ما عمل الباحث على تطبيقه في ترجمته للكتاب موضمع البحث (أنظر الجزء التالي).

٢. الترجمة

ترجمة (القسم الأول) الباب الأول من كتاب Translation

ترجمة (القسم الأول) الباب الثاني من كتاب Translation

ترجمة (القسم الأول) الباب الثالث من كتاب Translation

القسم الأول : استقصاء لمفهوم الترجمة

الباب الأول : ما هي الترجمة؟

طبيعة الترجمة

الترجمة هي إحلال نص مكان نص آخر أصلي.

وفقا لهذا التعريف تكون الترجمة عُدّت على أنّها مجرد عملية استبدالٍ لنص أصيل بآخر أدنى؛ و تكون بذا قد شبهت بظهر السجادة أو بالقبلة عبر المنديل. إلا أنّه – و برؤية أكثر إيجابية - يمكن النظر الى الترجمة على أنّها توفر مولجاً -و إن كان غير مباشر- إلى تجارب و أفكار ما كان يتأتى لها سوى القبوع محجوبة في طيات لغة أخرى مبهمة.

فرغم أنّ الترجمة قد تعتبر نوعا من القيد، إلا أنّها في ذات الآن تلعب دورا انعتاقياً يكمن في المساعدة على تخطي القيود التي تفرضها بعض اللغات على متحدثيها. و عليه، فعوضا عن تمثيل الترجمة بتلك الأنشطة المبتسرة من شاكلة التقبيل الصحي (من وراء منديل) و قلب السجادة على وجهها، يكون من الأوفق مقارنة الترجمة بعملية بناء الجسور أو توسعة الأفق و هي مقارنات تنمُّ عن الدور التمكيني و الإيجابي للترجمة؛ و هي أيضاً مقارنة تعرض الترجمة كخدمة تيسّر للفرد السموّ فوق العوالم الي تصوغها له قيود للّغة الأم. إنّ الترجمات تقوم مقام الوسيط بين اللّغات و المجتمعات و الآداب ، و عبرها يتسنى تجاوز العوائق اللّغوية و الثقافية.

و بما أنّ الترجمة في كنهها ما هي إلا مدخل لأمر موجود سلفاً (فحوى ما مثلاً) فهي تشكل نوعا من الاتصال/التواصل الثانوي اللاّحق؛ إذ إنّ عملية الاتصال و المخاطبة عادة ما تقع إلا مرة واحدة محكومة بوقتها، و تقوم الترجمة بإعادة تلك العملية لؤلئك الذين حرموا بداءً من الاشتراك في حدثها أو من التعبير عنه.

أنواع الترجمة

إنّ الترجمة هي عملية إبدال نص أصلي يعرف بـ**المصدر** بنص آخر يعرف بـ**الهدف**. و عادة ما تقع عملية الإبدال هذه بين لغتين (أي **ترجمة عبر لغويّة**) حيث تنقل الرسالة من نص بلغة المصدر إلى نص آخر مستهدف بلغة مغايرة. و هذا هو المفهوم الذي تم التطرق إليه إلى حينه، إلا

أن مصطلح الترجمة ذاته يمكن تبنيه للدلالة على العملية الترجمية التي تكون في إطار اللّغة الواحدة (بين لغوية)، و يقصد بذلك عملية إعادة صياغة النّصّ بلهجة أخرى أو على مستوىً آخر من ذات اللّغة، و يتمظهر ذلك حال نقل الرسالة (مثلاً) من نص باللّغة الإنجليزيّة القديمة إلى آخر باللّغة الإنجليزيّة المعاصرة أو من لهجة إنجليزية إلى أخرى، كما يصدق ذات الأمر على إعادة الصياغة من أسلوب إلى آخر مختلف عنه. فوق كل ذلك، يمكن إطلاق كلمة "ترجمة" على ابدال لا يكون كلا طرفيه لغة، بل لغة و ما هو غير لغوي من أشكال التعبير الأخرى، أي: نظام سيميائي آخر (الترجمة بين النظم الرمزية). و من هذا المنظور يجوز مثلا أن نقول بأن القصيدة "ترجمت" إلى رقصة أو صورة أو رواية أو اوبيرا أو فيلم. فهذه التحويرات ما هي إلا شواهد على عملية الترجمة التي تقع ما بين السيميائيات (**الترجمة بين النظم الرمزية**).

إنّ ما يجمع بين هذه العمليات الثلاث آنفة الذكر هو احتواءهن على قضية الإحلال لتعبير أو رسالة أو وحدة ذات معنى بآخر يختلف في الشكل.

إنّ مصطلح التوجمة أيضاً يستخدم أحيانا لوصف أنشطة لغوية على شاكلة "التلخيص" أو "إعادة الصياغة"، و رغم أنّمثل هذه الأنشطة اللّغوية تشابه الترجمة من حيث كونها تقوم مقام رسالة تمّ إنشاؤها قبلا، إلا أنّها- هذه الأنشطة- تختلف عن الترجمة في كونها لا ترمي إلى إعادة إنتاج الأصل بمجمله بل تروم اقتصاره على أجزائه الجوهرية أو تكييفه بما يناسب مجموعات أخرى من الناس لهم احتياجات و متطلبات مختلفة. سيكون إهتمامنا في هذا الكتاب منصبا على المفهوم السائد لمصطلح الترجمة، أي كون الترجمة عملية إحلال عبر- لغوي لنص مكان آخر.

المقصود بالترجمة

الترجمة هي عملية إبدال نص لغوي بنص لغوي آخر.

ما نحن بحاجة اليه الآن هو تمحيص ما ينطوي عليه كل ذلك. و بدءأ نقول إن مجرد الإشارة إلى عبارة "نص" تدل بجلاء على أننا بصدد استخدامات بعينهاللّغة التواصل لا بصدد أشكال/قوالب اللّغة من حيث هي. فالنّصّ ليس البتّة هو محصلة أجزائه وعملية استخدام الكلمات و الجمل في التواصل أو اصطفافها "لتؤدي المعنى" بطرق مختلقة ؛ بل أنّه بعملية الترجمة يتم استبدال النّصّ كوحدة متكاملة و ليس استبدال مكوناته المجتزأة، أي أننا لا نستبدل كلمة منفصلة أو جملة منفصلة بأخرى. إنّ الترجمة تنظر إلى العلائق الكائنة بين النّصّوص على أنّها هي الاستخدامات الفعلية

للّغة، و تكون الترجمة بذا مختلفة بالكلية عن أنشطة لغوية أخرى كالتحليل المقارن مثلا و الذي يُعنى بمقارنة نظامين لغويين في حيز التجريد. و لتوضيح هذا الاختلاف في الهدف من الترجمة لنا أن نستعرض المقتبس القصير التالي و ترجمته (للّغة الألمانية) من السيرة الذاتية للفيزيائي المشهور ريتشارد فينمان (١٩٨٥) (*لا ريب أنّك تمزح سيد فيرنمان!* نيو يورك، بانتان بوكس) :

الأصل (الإنجليزي منقولاً إلى العربية):

في كل عملية تفكير هنالك لحظات تكون فيها كلّ الأمور سائرة على ما يرام و تخطر لك فيها أفكار مدهشة. و التدريس مقاطعة و هو بذا يكون المزعج الأكبر في العالم. ثم إنّ هنالك فترات طويلة لا يأتيك فيها الكثير. فأنت لا تتلقى أي أفكار، و إن أنت لم تكن منشغلا بأمر دفعك ذلك إلى الجنون!

المسرد (الإنجليزي للترجمة الألمانيةمنقولاً إلى العربية):

في كل عمل فكري هنالك لحظات يجري فيها كل شئ على ما يرام و الواحد لديه أفكار راقية. أن يكون عليك أن تدرس فهذا يعني المقاطعة، و هو بذا يشكل أكبر اختبار للصبر يمكن للمرء أن يتخيله. ثم أن هناك مراحل لا يأتي فيها للمرء الكثير. الواحد ليس لديه أفكار، و حين لا يكون لدى الواحد أفكار فإن ذلك يدفع المرء للجنون!

لهذا المقتبس، كما في سائر الكتاب، يتم طرح مسارد شارحة للنصوص غير الإنجليزيّة الواردة فيه. إن المسارد الشارحة تعدّ في ذات نفسها نوعا من الترجمة؛ و هي في هذا الكتاب تؤدي غرضين: فهي أولاً تعطي القارئ قليل الإلمام باللّغة المعنية إشاراتٍ دالةً على المحمول المعنوي للنص؛ و هي ثانياً تدلل بذاتها على صعوبات الترجمة التي أخفقت هي (المسارد) نفسها في تجاوزها.

تَعرض الترجمةُ أعلاه لبعض القضايا المتعلقة بالتحليل المقارن (يؤشر لذلك في النّصّ بخط تحت الكلمة)، فنجد مثلا فيما سبق أنّ الفعل الدالّ على الإستمرارية في للّغة الإنجليزيّة (تكون سائرة is going) تحول في الترجمة الألمانية إلى الفعل المضارع البسيط (يجري läuft). فباستخدام التحليل المقارن يكون المسعى قاصدا نحو دراسة الكيفية التي يُعبر بها عن الزمن و عن الحالة في للّغة الإنجليزيّة و للّغة الألمانية ، و تحديد إذا ما كان هنالك مقابل في للّغة الألمانية لصيغة

الحاضر المستمر المُعبَّر عنها في اللّغة الإنجليزيّة بصيغة (ing). و يشار هنا إلى أن صيغة الحاضر البسيط في اللّغة الألمانية تعبر كذا عن مفهوم حالة الاستمرارية وتُدعم أحيانا بعبارة من قبيل (فقط gerade) لتأكيد حالة الاستمرارية هذه. علاوة على ذلك، يمكن للتحليل المقارن أيضا أن يتناول بالدراسة الكيفية التي تستخدم بها الضمائر الشخصية في اللغتين (الإنجليزيّة و الألمانية) و استجلاء الدافع و الحالة التي يستخدم فيها الضمير الشخصي (أنت you) في اللّغة الإنجليزيّة بينما يستخدم الضمير غير الشخصي (الواحد\الإنسان einen) في اللّغة الألمانية.

إلا أنّه من منظور ترجمي ينصب اهتمامنا أكثر ،عند مقارنة النّصّين الأصلي و المترجم ، على الكيفية التي اختار وفقها المترجم نقل عبارة (تكون سائرة is going) إلى اللّغة الألمانية مستفيدا في ذلك من عديد متاحات اللّغة الألمانية؛ و لا يكون اهتمامنا متزايدا بقضية غياب المقابل المباشر للترجمة الناتج عن الاختلاف في النظام اللغوي بين كل من الألمانية و الإنجليزيّة. علاوة على ذلك يكون مسعانا من منظور الترجمة (لا التحليل المقارن) هادفا إلى استجلاء كنه الاختيار الترجمي المعين هذا (مثل: الواحد one في الألمانية بدلا عن انت you في الإنجليزيّة) متسائلين هل يؤثر هذا الاختيار الترجمي على القرارات الترجمية الأخرى التي يتخذها المترجم و كيف يكون ذلك التأثير؟ سيكون التساؤل في راهنه حول سبب اختيار المترجم لمفردة (الواحد) و ليس لمفردة (Du الألمانية و التي تعني you) أو لمفردة (Sie و هي عبارة رسمية لضمير المخاطب في اللّغة الألمانية) علما بانّ كلتا المفردتين موجودتان في النظام اللّغوي للّغة الألمانية. تساؤلنا سيكون أيضا حول تحويل الاسم (التدريس teaching) عند الترجمة إلى الألمانية إلى المصدر المؤول مقرونا بالصيغة التي تشي بالفرض (أن يكون عليك أن تدرس Unterrichten zu müssen) بينما تتوافر بدائل أخرى من مثل (unterricht التدريس) أو (lehre تُدرِّس) أو (vorlesung halten تُقدِّم محاضرة)، سنتساءل عن وقع اختيار المترجم هذا على معنى و وظيفة مجمل النّصّ.

إن الاختيارات التي وقع عليها المترجم عند ترجمة النّصّ (يجريläuft؛ الواحد\المرء einen؛ أن يكون عليك أن تُدرِّسUnterrichten zu müssen) تعود أسباب اختيارها -فيما تعود- إلى الكيفية التي عادة ما يكتب بها مثل هذا النّصّ في اللّغة الألمانية. فيستخلص من ذا أنّ عملية الترجمة تنطوي على أمرين معا: التوجه خلفا نحو الرسالة في النّصّ الأصلي و التوجه قِبالةً نحو

الكيفية التي يترجم بها مثيل النّصّ في لغة الهدف. و يكون لدينا إذا ما يشبه **الرباط التواصلي المزدوج** (علاقة ثنائية المنزع - المترجم) في عملية الترجمة.

دعونا أولاً ننظر بتمحّص إلى عملية التوجه خلفا؛ فهذه العملية تتعلق بالمتطلب المحوري في عملية الترجمة و هو أن يوافق محتوى النّصّ المترجم محتوى النّصّ الأصلي. و هذا التشابه في المعنى بين النّصّين الأصلي و المترجم يعرف بالتكافؤ الدلالي فمثلاً، عن المقتبسين الواردين آنفي (تكون فيها كل الأمور سائرة على ما يرام everything is going good) و (كل شئ يجري على ما يرامalles gut näuft) يمكن القول بأنّهما متكافئان دلاليا؛ إلا أنّه بالنظر إلى مفهوم التوجهقِبالةً يتعين علينا أن نراعي نوعا مغايرا من التكافؤ يأخذ في الاعتبار قضايا من قبيل الأسلوب (style)، الرسمية في الخطاب (formal) ، اللّغة الخاصة (register) و ما شاكل ذلك.

بقدورنا مثلا أن نلحظ فورا الاختلاف الماثل في الاسلوب بين النّصّين السابقين فالجملة الإنجليزيّة (*التدريس مقاطعة و هو بذا يكون المزعج الأكبر في العالم*) تعد لغة دارجة و أقل رسميةً من رصيفتها الألمانية (*أن يكون عليك أن تدرس فهذا يعني المقاطعة، و هو بذا يشكل أكبر اختبار للصبر يمكن للمرء أن يتخيله*). و بذات القدر تختلف العبارة في النّصّ الإنجليزي الأصلي (*دفعك ذلك إلى الجنون)* عن النّصّ المترجم بالألمانية (*يدفع المرء للجنون).*

أما إذا ما كان هذا الاختلاف في الأسلوب يقع تحت طائلة عدم التكافؤ السياقي أم لا فإنّ حكم ذلك يعود إلى الكيفية التي عادة ما تكتب بها في اللّغة الألمانية النّصّوصُ المشابهة لهذا النّصّ المترجم؛ فإن كان القارئ الألماني معتاداً على و يفضل مستوىً مرتفعاً من الرسمية في مثل هذه النّصّوص فبمقدورنا إذا القول أنّ التكافؤ السياقي قد تحقق رغم التناقض الظاهري الناشئ بتعديل مستوى الرسمية عند الترجمة. إنّ القول بتكافؤ النّصّين -الأصلي و ترجمته- يقصد به إمكانية المقاربة بينهما من حيث المعنيين الدلالي و السياقي في كل نص مع وضعنا في الاعتبار الإطار و السياق الطبيعي الخاص بكل نص. على أي ، فمفهوم التكافؤ سيتم تناوله بعمق أكبر في الباب الثالث من هذا الكتاب.

سبق لنا تعريف الترجمة بأنّها عملية إبدال نص لغوي بمكافئه في لغة آخرى؛ و تشتمل هذه العملية على مرحلتين: أولا، فهم و تفسير النّصّ -و هذه هي المرحلة الأولى.ثانياً، تحويل/نقل هذا

الفهم و التفسير إلى اللّغة الأخرى -و هذه هي المرحلة الثانية. إذا فالتكافؤ يتم التَّوسّلُ إليه عبر التفسير. و هنا يمكن التقرير بصورة قاطعة أنّ النّصّ الثاني ليس فقط بمثابة إعادة إنتاج كاملة المعالم للنص الأصلي تتمثل بنقل نسخته المفسرة إلى اللّغة الأخرى؛ فالترجمة عملية تغطي في مسارها كلاً من النّصّ ١ (الأصلي) و تفسير الخطاب و النّصّ ٢ (المترجَم).

إذا فالملامح الثلاثة التي تبيّناها إلى حينه –النّصّ و التكافؤ و العملية- هي في الواقع مترابطة بالتّداعي، أي أنّه على مستوى النّصّوص تكون الترجمات متكافئة و إبان سيرورة تفسير و تحويل النّصّ ١ (الأصلي) إلى اللّغة الأخرى يتحقق التكافؤ الترجمي. و ما النّصّ ٢ (المترجم) إلا منتج ترجميّ تولد عن عملية تفسير و تحويل (إلى اللّغة الأخرى) النّصّ ١.

الترجمة التحريرية و الترجمة الشفهية

يمكن للترجمة أن تكون تحريريةً (مكتوبة الوسيط) أو شفهيةً (منطوقة الوسيط). وههنا يجدر التنبه إلى ذينك المعنيين المختلفين اللّذين يُعبر عنهما بذات اللفظة الإنجليزيّة (interpreting)؛ فإحدى الدلالتين لهذا اللّفظ تنصرف إلى ما ورد سابقا من معنىً للتفسير و الفهم، و الثانية تطلق على مفهوم الترجمة الشفهية. و بالحديث عن الترجمة الشفهية ، فيشار إلى أنّه عادة ما يُميّزُ في المؤتمرات الإحترافية بين نوعين للترجمة الشفهية و هما الترجمة الفورية و الترجمة التتبعية، إذ تقع الأولى إبان حديث المتكلم و الأخرى تعقب حديث المتكلم.

في حال الترجمة التحريرية يتمُّ نقل نص قار ماثل بين يدي المترجم إلى نص بلغة أخرى و نجد أنّ هذا النّصّ يكون قابل للملاءمة و التصويب المتكرر من قبل المترجم، أما في حال الترجمة الشفهية فيُحوّل النّصّ إلى نص بلغة أخرى -حكماً- يرد منطوقا مرة واحدة فحسب. و بما أنّ هذا النّصّ الجديد يخرج على دفقات و لا يمكث طويلاً لدى المترجم أو المخاطب ، فقابليته للسيطرة أو التصحيح من قبل المترجم تصبح محدودة لدرجة ما. كما أن بعضا من خطوات الترجمة الشفهية تتسم بالصعوبة و تطلب وقتا رغم أن بعضها الآخر يُعدُّ آليّا و لا يحتاجُ إلى كثير تفكر و تأمل. و كل هذا في مجمله لربما يقود إلى مشكلات حقيقية طالما يتعيّن على المترجم الشفهي الاستماع و الترجمة في ذات الآن. و بالطبع فالأمر يختلف حين الحديث عن الترجمة التحريرية حيث يكون عادة بمقدور المترجم آنئذ قراءة و ترجمة النّصّ وفق ما يلائمه من وتيرة. علاوة على ذلك فالنّصّ الأصلي موجود بمجمله في متناول الترجمة بينما في حال الترجمة الشفهية ، تتبعية كانت

أو فورية ، (كما في المؤتمرات) يُنتج النّصّ و يقدم قطعة قطعة وهو ما يشكل تحديا حقيقيا أمام المترجم الذي عليه أن يخلق من هذه القطع نصا متصلا يكوّن لاحقا كُلاً مترابطاً.

إضافةً إلى الترجمة الشفهية للمؤتمرات على الصعيدين الوطني و العالمي ، فهناك نوع آخر من الترجمة الشفهية بدأت أهميته تأخذ في الظهور ، و هو ما يعرف بالترجمة الشفهية المجتمعية (يطلق عليها أيضا "خدمة الترجمة الشفهية العمومية" أو الترجمة الشفهية الحِواريّة). فنسبة لتذايد الهجرات الدولية و ما يترتب عليها من اختلاط لأناس ذوي خلفيات لغوية متباينة ، برزت أهمية الترجمة الشفهية المجتمعية حال كونها تلعب دور مهماً في تجسير التواصل بين الرسميين و العامة الذين يتحدثون بألسن مختلفة. ففي الغالب الأعمّ تتم الترجمة الشفهية المجتمعية تتابعيا (وجها لوجه أو عبر الهاتف)؛ و تكون مثلا في دوائر الشرطة أو الهجرة، او في مراكز الرعاية الاجتماعية أو المدارس أو السجون حيث يقوم بها إما مترجمون غير متخصصين - أفرادا عاديين مزدوجي اللّغة من أقرباءٍ أو أصدقاء- أو خبراء محترفون مختصون في مجالات كالقانون أو الطب أو ما شاكل ذلك. في هذا الإطار ينقل المترجم الشفهي الحديث لكلا الطرفين متنقلاً بين اللّغتين. و يحدث أحيانا أن لا يكون المترجم الشفهي المتطوع و غير المدرّب هذا حياديّا و لا موضوعيّا في نقله حين يترجم من و إلى قريب أو صديق ، إذ يكون أميّل إلى من يُعينُ بالترجمة حين يكون الطرف الآخر مؤسسة رسمية. هناك نوع آخر من الترجمة الشفهية يسمى بـ"الترجمة الشفهية التنسيقية" إلا أنّ هذا النوع من الترجمة يقع بين أشخاص متساويّ الوضعية في اجتماعات كتلك التي تجمع رجال أعمالٍ أو فنيين.

إن التمييز بين الترجمة التحريرية و تلك الشفهية يعد من الأهمية بمكان ، فهما نشاطان مختلفان : ففي الترجمة التحريرية عادة ما يكون مؤلف النّصّ الأصلي غائبا و كذلك متلقي النّصّ المترجم ، و لذا لا يحدث تفاعل جليٌّ و لا تنشأ تغذية راجعة.

في هذا الكتاب سينصب جل تركيزنا على الترجمة التحريرية و لا نتطرق إلا لماماً للنوع الآخر من الترجمة (الترجمة الشفهية).

الترجمة البشرية و الترجمة الآلية

إنّ الإتيان بعمل الترجمة لا يقتصر على الإنسان فقط، فالآلة أيضا بمقدورها فعل ذلك. و تنقسم الترجمة من حيث الآليّة إلى ترجمة كاملة الآليّة وأخرى شبه الآليّة؛ ففي التي تقدم ذكرها أولا،

يُدخل النّصّ الأصلي في الحاسب الآلي حيث تتم عبره عملية الترجمة دونما تدخل بشري؛ و إلى حينه ليس بمقدور الترجمة كاملة الآلية سوى إنتاج مسودات غير مشذّبة أي مجرد نسخ أولية و عجلة على شاكلة النّصّ (المركب) أدناه و الذي هو ترجمة (من الألمانية)للنّصّ الأصلي لأحد تقارير شركة فولكسواجن السنوية:

النّصّ الأصلي بالألمانية:

Die aus den Vorjahren bekannten Probleme im weltwährungs-system spitzten sich weiter zu. Sie erreichten ihren Hohepunkt, als der Dollarkurs auf 2,28 Mark sank. Dies verursachte eine weitere Verteuerung des deutschen Exports.

الترجمة الآلية للنص:

المعروف عن المشاكل السابقة في النظام النقدي العالمي جاء إلى جها لوجه. وصلت ذروتها ، مع تراجع الدولار إلى ٢.٢٨ علامات . وادى ذلك إلى زيادة أخرى في أسعار الصادرات الألمانية.

فمثل هذه الترجمات تبرز فائدتها عند عدم توفر الترجمة البشرية - لسبب أو لآخر- و عند احتياج العالِم المختص وقتها لمجرد الإلمام العام بفكرة مقال تخصصي ما. فالترجمة كاملة الآلية بالنسبة للعالم المختص قد تكون مفيدة تماما رغم ارتباك الصياغة كما في المثال السابق إذ أنّ الإلمام بالموضوع المطروح يُلِّ ي للاختصاصي الغموضَ الذي يكتنف النّصّ المنتج آليا. أما إذا ما رغب أحدٌ في الحصول على ترجمات آلية حسنة النوعية فلا ثمة مناص من تحرير قبلي و بعدي يجريه مترجم بشري، و آنئذ تسمى هذه الترجمة بالترجمة شبه الآليّة. كما أنّه في أحيانٍ أخرى تتوقف بعض برامج الترجمة الآلية عن العمل حين يعترضها مصطلح غامض يُشكِل عليها إزاءه الاختيار من بين المتقابلات لترجمته مما يستدعي تدخلا بشريا تستأنف عقبه هذه البرامج عملية الترجمة.

أيضا توجد برامج حاسب آليّ يمكنها أن تُعين المترجم البشري من أوجه ثلاثة: أولا، هناك برامج مرنة للترجمة تساعد المترجم في حل المعضلات الترجمية العويصة المتعلقة بالدلالات اللفظية و ذلك بفضل ما توفره من منصات تيسر السبيل إلى معاجم لغوية اسفيرية (فورية) أو بما تقدم من

ألفاظ مبسوطة في أنماط سياقاتها المألوفة. ثانياً، يمكن للحاسبات الآليّة أن تعين المترجم في استدعاء النمطي من تعبيرات و تراكيب للّغة الهدف. ثالثاً، بإمكان الحاسبات الآليّة أن تسهّل للمترجم البشري مهمته بتوفيرها له معارف موسوعية تتمثل في تهيئة إجراءات البحث و طرق جسر الفجوات المعرفية التي عادة ما تبرز عند تناول المصطلحات وقضاياها المفاهيميّة و اللغّويّة.

و يستفيد الباحثون من نتائج الدراسات التي تستقصي أفكار و سلوكات المترجمين في ترقية هذه البرامج الترجمية المتعددة؛ و آنئذ لربما تصبح الآلات قادرة على مضاهاة ما يتبناه المترجم البشري من استراتيجيات ترجمية. إذاً، فالترجمة بمساعدة الحاسب الآليّ يمكن عدها نوعاً من "تقسيم العمل" بين الآلة و الإنسان: فبرامج الحاسب الآليّ تزيل عن كاهل المترجم البشري عبء الأعمال الروتينية المملّة و المستهلكة للوقت و تُعبِّد له سبيل الوصول إلى أعمال ترجمية مرجعية و تفسح له بذا البراح ليهتم بعمليات إبداعيّة و غير آليّة تتعلق بحلّ المشكلات و اتخاذ القرار.

ليس من المتصور أبدا أن تحلّ البرمجييات بصورة كاملة محلّ المترجم البشري، فحلم الوصول على نظام ترجمة آليّ قائم بذاته وذي كفاءة عالية لا يزال بعيد المنال؛ إلا أن ترجمة الآلة في أشكالها المتعددة لا ريب أنّها جاءت لتبقى. وهي تكون مقدرة الفائدة عند الحاجة إلى ترجمة نصوص جلية المحتوى بينة المتقابلات يسود في ترجمتها نقل البيانات (مثلا ترجمة تقرير عن أسواق الأعمال من اليابانية إلى الإنجليزيّة أو ترجمة أوراق عن علم الفلك من الصينيّة إلى الإنجليزيّة). خلافا لذلك، فإنّ نجاعة الترجمة الآلية عندما يتعلق الأمر بالنّصّوص الأدبية و الأجناس الإبداعية الأخرى فمحدودة حيث أن مثل هذه النّصّوص تعتمد كثيرا على الإيحاء و تداعي المعاني و أيضا على الإلمام بالسياق الثقافي و الواقعي على الأرض.

الترجمة كتواصل بين الثقافات

إن الترجمة ليست بعمل لغويّ فحسب، بل هى فوق ذلك عمل ثقافي، أي تواصل عبر الثقافات. فالترجمة تستبطن للّغة و الثقافة معا و يصعب الفصل بينهما؛ فللّغة محمول ثقافي أي أنّها تشكل و تعبر في ذات الآن عن الواقع الثقافي، و المعنى اللغّوي إن كان لمفردات أو نصوص لا يستقيم فهمه إلا إذا نُظر إليه في السياق الثقافي الذي ورد فيه. فمثلا عبارة "تناولنا الغداء" التي ترد في سياق الثقافة البريطانية لا يمكن نزعها و زرعها في سياق ثقافة عربية أو ألمانية أو فنلندية أو

حتى إنجليزية أمريكية دون الإنتباه للـ "مدلولات" الثقافية التي تكتسبها هذه الكلمة في تلك السياقات المختلفة. و طالما أنّ للمعني أهمية كبرى في الترجمة، فليس بالإمكان تجاوز المحدد الثقافي الذي تأخذ الكلمة في إطاره مرجعيتها؛ و يستخلص من ذلك أنّه في إطار عملية الترجمة ، لا تلتقي اللّغتان فحسب بل كذا الثقافتان؛ و هو ما يعني أن عملية الترجمة في كنهها ما هي إلاعملية تواصلٍ عبر- ثقافي.

و لكن ما الذي نعنيه بـ "الثقافة" عند ذكرنا إيّاها في هذا السياق؟ إن **الثقافة** هي مجموعة القيم و الأعراف المشتركة بين جماعة ما من البشر؛ وتعمل هذه القيم و الأعراف عمل الموجهات المعنوية في قيادتها لطريقة تفكير و سلوكات هذه الجماعة البشرية. صحيح أنا نجد عند أيّ جماعة بشرية عدد من القيم و المعتقدات و السلوكات المختلفة، إلا أن ما يهمنا هنا هو كيف تختزل هذه العادات و الرؤى الثقافية في إطار اللّغة و كيف يتم إيصالها إلى الآخرين. أما إذا ما تكرر هذا النوع من الإيصال من قبل مجموعة معينة بما يكفي فأنّه لربما يتحور و يصبح "مُعبِّر ثقافي" في عقلية أفرادها. إنّ استخدامات اللّغة و المواضعات المتعلقة بها تسهم بصورة أساسية في صياغة الربط الإجتماعي و الهوية الثقافية؛ و عمليات التواضع هذه على المعاني من خلال اسخدامات اللّغة في إطار ثقافة معينة لها قدر كبيرمن الأهمية حين يتعلق الأمربعملية الترجمة، إذ أنّ نوع و درجة الإختلافات و التشابهات في هذه التواضعات في كلٍ من لغة المصدر و الهدف هي عينها ما يتوجب أن يتنبه لها المترجم حال نقله النّصّ من ثقافة إلى أخرى. فمثلاً عند ترجمة الإشارة إلى تاريخ معين له مكانة في ثقافة لغة المصدر فلربما يتعين على المترجم أن يبيّن "المعنى" الذي اكتسبه هذا التاريخ في نفوس المنتمين لتلك الثقافة. فخذ على سبيل المثال الإشارة إلى التواريخ التالية: الرابع من يوليو في نص أمريكي، السابع عشر مايو في نص نرويجي، السابع عشر من يونيو في نص ألماني، و الرابع عشر من يونيو في نص فرنسي. إنّ "المعنى" الذي يحمله كل واحد من هذه التواريخ له مكنونه الثقافي و لا يتسنى فهمه مجردا بمعزل عن العرف التاريخي المشترك بين المنتمين لتلك الثقافة المعنية.

ذكرنا فيما مضى أن من أهم خصائص عملية الترجمة هي **"الرباط التواصلي المزدوج"** (الحالة ثنائية النزع) و التي عبرها يتحتم على المترجم ربط النّصّ المصدر و سياقه الثقافي بالوضعية التي عادة ما يكون عليها النّصّ الهدف من حيث التواصل/التعبير الثقافي، و يشار إلى أنّه كلما كان الاختلاف واسعا بين النّصّين من حيث إطاريهما الثقافيين كلما زادت أهمية المعالجة الثقافية

التي يتحتم على المترجم إجراؤها، ويتضمن ذلك الإدراك الواعي و المعرفة بالإيحاءات الثقافية للنص المصدر و أيضا الإلمام بالثقافة التي يُزمع إجراء الترجمة في إطارها. أنظر مثلا هذا النّصّ الإنجليزي الذي يتناول الطريقة التقليدية في الاحتفال بعيد الكريسماس:

في عشية عيد الكريسماس وضع الأطفال جواربهم خارجا. و لشدة حماستهم لم يغشهم النوم إلا بعد وقت طويل.

فترجمة نص كهذا دون إيضاحات إضافية لربما تثير الدهشة حيال هذا التصرف الغريب؛ وقد يكون من الملائم في هذه الحالة مثلا أن يضيف المترجم توضيحا مقتضب أو يشير إلى عادة مشابهة في ثقافة اللّغة المنقول إليها (الهدف).

علاوة على الأهمية التي تولى لهذين الإطارين الثقافيين، يتوجب على المترجم أن التنبه إلى **سياق الموقف** المباشر و هو ما يتعلق بالتساؤلات التالية: من كتب النّصّ و اين و لماذا كتبه؟ و من يقرؤه الآن؟ و من ترجمه و متى و لماذا؟ بل و أيضا: من يقرؤه الآن و ما الهدف؟ فالنقاط المتعلقة بهذه التساؤلات المختلفة تتبدى في الكيفية التي كُتب بها النّصّ و فُهم و تُرجم و قُرء. إن سياق الموقف إذا يكون في ذات نفسه مندغما في ثقافة أكبر تتمظهر في النّصّوص و في الواقع المعاش.

ملخص

إن الترجمة هي نوع من التواصل الثانوي وتلعب دور تقييديا و آخر تمكينيا. و يمكن تعريفها بأنّها عملية إحلال نص لغوي بمكافئه في لغة أخرى. أما مظاهر الترجمة الثلاث الأساسية فهي النّصّ و التكافؤ و العملية (الترجمية). و عادة ما يقع التمييز بين الترجمة الشفهية و الترجمة الكتابية، و بين الترجمة الآلية و الترجمة البشرية، و بين الترجمة كعمل لغوي و الترجمة كتواصل بين الثقافات.

الباب الثاني

الترجمة من منظورات مختلفة

عرضنا في القسم الأول لمحة حول التعقيد الذي يكتنف الترجمة. و لا ينشب التعقيد فقط بسبب المشكلات المتصلة بتحديد معنى النّصّ بل أيضا بسبب الحاجة إلى إعادة صياغة هذا المعنى في نص آخر. و في هذا المنحى تعددت المنظورات حول الترجمة بتعدد جوانب العملية الترجمية الي تركز عليها و هو ما سنعرض له في هذا القسم.

التركيز على بُعد النّصّ الأصلي

وفق هذا المنظور فإنّ التركيز ينصب على النّصّ الأصلي بصفته مثالا مجسدا للكيفية التي تعمل وفقها هذه اللّغة، و من ثم ترصد اختلافات هذه اللّغة مع اللّغة المزمع الترجمة إليها. و الترجمة من هذا المنحى تنتسب لـ**علم اللّغة التقابلي**، إلا أن ثمة اختلافات أساسية بين الاثنين (علم اللّغة التقابلي و الترجمة بتركيزها على النّصّ)؛ فبينما يهتم المختص في علم اللّغة التقابلي بالمتكافئات في التركيبات اللّغوية داخل لغتين أو أكثر، نجد أن المختص في الترجمة يركز على المتكافئات بين النّصّوص عند الاستخدام الفعلي للغات و كذلك بين مكوناتها في مواقف الاتصال و التواصل. فالقضية مثار الاهتمام بالنسبة للترجمة هي إلى أي مدى يمكن التعبير عن معنى في نص أنشأ باللّغة "أ" باستخدام نص في اللّغة "ب".

و على أي، فالترجمة تَفيد من نتائج البحوث التي تُجرى في مجال علم اللّغة التقابلي ، إذ أن العديد من قضايا الترجمة يمكن التطرق إليها انطلاقا من وجود الاختلافات بين الأنظمة اللغوية. و من مثال ذلك استخدام علم اللّغة التقابلي في تَبْيين الكيفية التي يعبر بها في أنظمة اللّغات المختلف عن مفاهيم كمفهوم الزمن و التي يمكن أن تفيد استراتيجيات الترجمة عند وصف تسلسل الأحداث باللغة الأخرى. و قد يصبح علم اللّغة التقابلي أكثر قربا و فائدة للترجمة عندما يوسع نطاقه ليتناول ليس فقط القوالب اللغوية بل و كذلك الطريقة التي تستخدم فيها هذه القوالب اللّغوية في اللّغات المختلفة لتنظيم الرسالة أو لتنظيم الحدث التواصلي أو لرسم التوجهات حيال الموضوعات. إنّ مدى اتفاق أو اختلاف اللّغات على صعيد المستويات آنفة الذكر، يشكل هادياً لا غنى للمترجم عنه فيما يلي فهم و صياغة المتقابلات بين نصوص اللغات المختلفة.

تجدر الاشارة إلى أن بعضا من مناهج دراسة اللّغة و توصيفها أقرب من بعضها الآخر للترجمة. فالمناهج الشكلية لدراسة اللّغة متمثلة في النحو التوليدي أو الإدراكي عموما لا تعد بذات فائدة كبيرة للترجمة ذلك أنّ اهتمامها ينصب بالأساس على المعنى الدلالي أو الترميز كما تجسده الجُمل؛ و الاستخدامات اللغوية إنما مبناهاالنّصّوص لا الجمل، و ما النصوص بمجرد سلسلة من الجمل. إذا فتفسير النّصّ و فهمه لا ينطوي فقط على تفسير مكونات الجُمل – رغم أن تفسير الجُملة قد يشكل نقطة البدء. و بعبارة أخرى فرغم ما لهذه النماذج الشكلانية في دراسة و وصف اللّغة من صلة بالترجمة ، إلا أن هذه الصلة تبقى محدودة.

من ناحية أخرى ، تعد النظريات الوظيفيةاللّغة مبشرة أكثر من غيرها في مجال الترجمة. فهذه النظريات تولي اهتماما اكبر للاستخدامات اللغوية في مواقف التواصل الاجتماعي و تبحث في الكيفية التي تتشابك فيها كل من اللّغة و الموقف و الثقافة. و في هذا الباب تبرز نظرية هاليداي في علم اللّغة الوظيفي لما لها من حضور خاص في الترجمة بسبب تركيزها على العلاقة ذات النسق بين القوالب اللغّوية و وظائفها. فالقوالب اللّغوية - بحسب هاليداي- هي في كنهها ترميزات دلالية للوظائف الاجتماعية التي قامت و تطورت لأجل خدمتها اللّغة. فا**لنحو الوظيفي النظامي** المنسوب إلى هاليداي يضيف بعدا آخر إلى المعنى الدلالي و هو بذا- يمكن القول- يتيح للمترجم فهما أكثر تعمقا. إنّ التركيز ههنا ليس على الجمل حال كونها مجرد موضوعات شكلانية، بل التركيز يكون عليها كرسائل و تبادلات و مجسدات تعبيرية؛ و مع كلٍ فإن هذه الوظائف تبقى في إطار الدلالة اللغوية و تفسّر بالنظر إلى الجملة ، فهي –أي الوظائف اللّغوية- لا تمثل الطريقة التي تعمل بها اللّغة براغماتيا في إطار النّصّ. و النّصّوص ،على أي ، تعد ذات أهمية معتبرة حين يتعلق الأمر بالترجمة فهي تتموضع في السياق و ينظر إليها من خلال المتواضع عليه من استخدام أولغة خاصة (Register)، و أهمية هذا الأخير هي ما سيتم تناولها بتفصيل أوسع في الباب الثالث من هذا الكتاب.

إلى هذه المرحلة نكون قد تطرقنا إلى الرابطة التي تقوم بين الترجمة و المنظور الذي يتبنى نهج التحليل اللغوي للنص.

و لربما يعد نهج كل من كاتفورد و نايدا من أوضح الأمثلة على مناهج تناول الترجمة من منظور النّصّ إذ يهتم الاثنان - كل لمبرراته و من منطلقاته ثقافية التي تختلف عن الآخر- بان يكون النّصّ الهدف مكافئ قريب للنص المصدر بقدر الإمكان.

إنّ أكثر ما يميز كتاب كاتفورد الكلاسيكي : *النظرية اللغوية للترجمة* هي نظرته للمعنى ، إذ يقول في هذا الصدد أنّ المعنى لا يفترض في حقه النقل من النّصّ المصدر إلى النّصّ الهدف ، بل يتوجب فيه عوضا عن ذلك الإبدال ليؤدي - إذا قورن النّصّان - ذات الغرض و لكن بما يناسب البيئة الجديدة للسياق و النّصّ. و هذه رؤية تنطوي على قدر كبير من الأهمية فيما يتعلق بالترجمة ذلك أنّها تق بالرابطة القوية بين المعنى و سياق الاستخدام للوحدة اللّغوية ؛ وينبني على هذا أنّ ابدال المعنى لا يتسنى إلا بالنظر إلى الوحدات اللّغوية في سياق ظرفها. و تقع الترجمة حين يكون النّصّان المصدر و الهدف متساوقين بصورة فاعلة مع سمات ما يغلف كل منهما من بيئة اجتماعية-ثقافية. فالخلاف بين مفهومي النقل والإبدال يتجسد في أنّ الأول يفترض نزع المعنى المضمّن في النّصّ الأصلي و إلباسه تعبيراً شفهياً مغايراً ، بينما ينظر الإبدال إلى المعنى باعتباره دالة العلاقة بين النّصّ و السياق و عليه يكون الابدال للمعنى بتحقيق كيفية ما لإعادة تمثيل هذه العلاقة.

و في إطار الترجمة ، نجد أن كاتفورد يميّز تميزا قاطعا بين **التطابق الشكلي/البنيوي** و **التكافؤ النّصّي** فيحيل الأول إلى نظام للّغة (اللسان langue) و الآخر إلى تحقيق ذلك النظام (الكلام Parole). و يتحقق التطابق الشكلي/البنيوي بحق للمكونات اللّغوية في نصَّي الأصل و الترجمة حين يكون لأقسام الكلام ذات الترتيب تقريبا في سياق الجملة الخاصة باللّغة المصدر و سياق تلك الخاصة باللّغة الهدف ؛ فمثلاً يعمل حرف العطف "و" بذات الطريقة تقريبا في كل من اللّغة الألمانية و اللّغة الإنجليزيّة ، و عليه يكون من اليسير على المترجم نقل "و" الإنجليزيّة إلى "و" الألمانية و ينتج التكافؤ النّصّي. إلا أنّ هناك حالات عديدة أخرى يتوجب فيها على المترجم اللجوء إلى ما يسمى بـ "نقلات الترجمة" وهي تستدعي مفارقة التطابق الشكلي/البنيوي باستخدام النقلات ما بين المباني و المعاني حال الترداد مابين اللّغتين في عملية الترجمة. فمثلاً نجد أن ترجمة الصيغة الزمنية للفعل الإنجليزي إلى الألمانية تستوجب النقل من النحو (المبنى) إلى المفردات اللّغوية (المعنى) كما في الجملة الإنجليزيّة التالية:

He was hanging up his coat when the bell rang

(كان يعلّق معطفه حين رنّ الجرسُ)

فترجمة هذه الجملة من الإنجليزيّة إلى الألمانية يتطلب استخدام المفردة الألمانية (gerade = فقط/مجرد) للتعبير عن صيغة الفعل الإنجليزي المعبر عنها بالتركيب النحوي (كان يعلّق was hanging).

أما المحاولة الكلاسيكية الثانية لاستحداث منهج لغوي منفصل لتناول الترجمة فقد كان لـ يوجين نايدا و المسمى بالنظرية الاجتماعيةاللّغوية للترجمة. و يعود اهتمام نايدا بالترجمة إلى موضوع ترجمة الإنجيل التي انخرط فيها لوقت طويل. فبحسب نايدا يجب أن توجّه الترجمة أولاً و قبل كل شيء إلى متلقيها، و لذا نجده يضع اعتباراً للفروق بين النّصّ المصدر و متلقي النّصّ الهدف فيما يتعلق بأنماط توقعات هؤلاء الأخيرين و نظرتهم للعالم من حولهم. و بالنسبة لنايدا ما الترجمة إلا موائمة للنص الأصلي (الأنجيل) ليتماشى مع تواضعات لغوية و ثقافية أخرى مباينة ؛ و أن هذه الموائمات تكون دائما ضرورية ، فالترجمة لا تنجز هدفها إلا إذا كُيّفت لتلائم ما لمستقبِلها من احتياجات (وهي حاجة تبشيرية في حالة ترجمة الإنجيل). إلا أنّه و مع الحاجة إلى موائمة الرسالة الأصلية مع الحاجات عظيمة التباين لمخاطبين متباينين، تظلُّ ماثلة أهميةُ "الحق" المقدس للرسالة الإنجيلية و التي يتوجب مراعاتها و المحافظة عليها عند الترجمة. و للخروج من هذه المتاهة حدد نايدا مقياسين مختلفين للترجمة أسماهما **التعادل الشكلي/البنيوي** و **التعادل الدينامي،** حيث يستبطن المسمى الأول منهجا شكليا/بنيويا في تعامله مع الرسالة في اللّغة المنقول إليها و يرى وجوب ان تُشاكل لأقرب درجة ممكنة القالبَاللّغوي المقابل في اللّغة المصدر؛ أما المسمى الآخر فيشير إلى كامل "الطبيعية" في استخدام اللّغة الهدف. و لا يختلف هذا التوجه كثيرا عن التمييز الذي وضعه كاتفورد بين ما اسماه التطابق الشكلي/البنيوي و التكافؤ النّصّي.

إنّ الطريقة التي ينادي بها نايدا هي مسار في الترجمة إنبنى على "النحو التحويلي- التوليدي" في نسخته الأولى؛ ذلك لافتراض أنّ الترجمة تتكون من ثلاث مراحل: التحليل و النقل و اعادة البناء. فمفهوم التوليد يعاد تشكيله في الترجمة ليقابل التفسير/إعادة الصياغة؛ و الجُمل يُحلل مبناها الظاهري/السطحي من قبل المترجم لتنتج (عبر التفسير/إعادة الصياغة) الجُملَ العميقة أي "الجمل الجوهرية"و هي التي تُحوَّل إلى مباني مماثلة في اللّغة الهدف و يعاد تركيبها بدورها

لتشكل النّصّ الهدف. فمثلا جملة "نادى جون بالتعميد للندم لأجل غفر الذنوب" يمكن تحليلها إلى الخمس الجمل الجوهرية الأساسية التالية:

نادى جون

[[جون يعمّد الناس]←——

[الناس يتوبون]←——

[الله يغفر

[الناس يذنبون]]].

بمعنىً آخر فإنّ الرسالة المعطاة في اللّغة (أ) يتم تحليلها أولاً وفق علائقها النحويّة و معاني كلماتها و الروابط القائمة بين ذلك كله؛ و ثانياً تحول هذه المادة المحللة في ذهن المترجم من اللّغة (ا) إلى اللّغة (ب)؛ و ثالثاً يعاد تركيب المادة المحولة لتكوّن رسالة تلقى كامل المقبولية في اللّغة (ب) المنقول إليها.

تلخيصا لما سبق، يشار إلى أن مفهوم التركيز على النّصّ الأصلي في الترجمة يختلف عن مفهوم **التحليل التقابلي**. فهذا الأخير يستخدم النّصّ -هذا إن وضع إبتداءاً اعتبارٌ للنص- بصورة أساسية ليملّ للمكونات المجردة في النظام اللّغوي؛ أي أن التحليل التقابلي يستخدم المعلومات المستقاة من النظام اللّغوي ليلقي الضوء على النّصّوص و ينظر إلى ما تعنيه دلالياً أجزاء معينة في النظام اللّغوي؛ هذا بينما تهتم الترجمة بما يعنيه عملياً (أي مقامياتيا paragmatically) الناس من استخدام اللّغة؛ فالتركيز على النّصّ الأصلي في مجال الترجمة يعني تحليل النّصّ و الربط المنتظم ما بين قوالبه و وظائفها لاستنكاه مقاصد اختيارات الكاتب الأصلي؛ و الهدف من ذلك كله تمكين المترجم من تحديد اختياراته الخاصة.

التركيز على بُعد عمليه التفسير

بالتركيز على النّصّ المصدر كما هو مطروح أعلاه، ينسرب الإيحاء بان المعنى مشتمل في اللّغة نفسها؛ أما بالتركيز على عملية تفسير النّصّ فيتحول مناط الإهتمام من النّصّ نفسه إلى عملية ترتبط بالإنسان: القارئ و نشاطه المعرفي أو العاطفي الإنفعالي. أي أنّ يقع تحولٌ من علم الدلالة

الخاص بالنّصّ إلى التفسير المقامياتي (العملي) للنص. و النقطة الراكزة في كل ما سبق هي أن القارئ حال قيامه بعملية فهم النّصّ يستجلب معه فهمه الذاتي و خلفيته الثقافية و معرفته المرتبطة بالسياق و ينخرط بكليّة و تفاعليّة في سعيه لإدراك النّصّ. و على عكس رؤية نايدا القائلة بتقريب الإنجيل من القارئ مع عدم التفريط في النّصّ و لبّ معناه، يركز دعاة مدرسة التفسير بصورة كاملة على عملية فهم النّصّ الأصلي رادين فكرة أن يكون للنصوص لبّ معنىً مستقل بذاته. فالنّصّ من هذا المنظور لا يتمتع بحياة مستقلة، بل يُستدعى إلى الحياة عبر عملية التفسير و هي التي تؤُسُ الروحَ فيه. فحين يستقبل المترجم نصا أصليا ينخرط فيعملية تعلُّم دائرية تتردد ما بين النّصّ و تفسيره؛ و هذه الدائرة تؤدي ختاما إلى ما يسمى بـ "ذوبان الآفاق" ما بين المترجم و النّصّ.

من هذا المنطلق آنف الذكر، فإنّ الترجمة تستدعي فهما لنّصّ الأصلي يتمّ عن طريق "الاستحواذ" علي معنى النّصّ؛ و في مسار الفهم هذا يفقد النّصّ تدريجيا "غرائبيته"، و يبني المترجم لنفسه تجسيدا ذهنيا لمعنى النّصّ و هذا هو الذي يعاد تشكيله إبانَ عملية النقل إلىنّصّ آخر. إنّ عملية إعادة التشكيل المشار إليها هذه لا تختلف في نوعها - إلا اختلاف مقدار- عن أيّ عملية أخرى لانتاج النّصّوص. إذاً فإعادة بناء "معنى" النّصّ ليتناسب مع لغة و سياق آخرين ليست بذات بال ههنا، بل المعوّلُ عليه هنا هو نوع التجسيد للنّصّ في ذهن المترجم، أي ذلك التجسيد الناجم عن عملية إدراك المترجم للنّصّ الأصلي؛ فالمترجم ،بوصفه من يقوم بعملية إدرك النّصّ المصدر ثم إعادة تشكيله في صيغة نّصّ هدف، يُعد العامل المركزي في كل عمليات الترجمة. عليه فإنّ الأمر من هذا المنطلق لا يتعلق بمجرد الحصول على المعنى المضمن في النّصّ و تعديله ليناسب المتلقي (كما يقول بذلك نايدا)، بل يتعلق بفهم النّصّ من خلال تفسيره؛ أي أننا ههنا أميل أكثر لاختراع لا لاكتشافما هو كامن مسبقاً فيالنّصّ.

و مع كلٍّ يظل مفهوم التركيز على التفسير النّصّي الخاص بكل مترجم أمرا شائكا، ليس فقط لأنّ المفهوم الأساسي لما يُقصد بالادراك/الفهم لم يتم تعريفه بصورة واضحة، بل و كذلك لأنّ هذا المفهوم إجمالا يعد أُحادي الجانب و ذلك لتركيزه على هذه الخطوة الابتدائية في المسار الدائري لعملية الترجمة. من الجليّ انّ لفهم النّصّ الأصلي أهمية في عملية الترجمة؛ إلا أنّ الإنشاء المدرك للنّصّ الجديد يستحوذ على ذات الدرجة من الأهمية.

التركيز على بُعد التفسيرات المتغايرة: الثقافية و الأيدولوجية و الأدبية

إنّ التركيز على زاوية **التفاسير المتغايرة للنص** جائز كما هو الحال بالنسبة إلى التركيز على زاوية التفسير الخاص بالفرد عند تناول موضوع الترجمة. و بالنظر إلى الإثنين نجد أنّ هذه الأخيرة تقوم على فكرة مفادها أنّ طريقة فهم الفرد للنّصّ و ترجمته تعتمد بالأساس على الظروف التي تلقى فيها هذا الفرد النّصّ، أما نظرة الزاوية الأولى فترى أنّ التفاسير النّصّية تشكلها عوامل ثقافية و تنبني على مسلمات ثقافية كذلك.

و الفكرة الأساس هنا هي أنّه ليس ثمة حقيقة تقوم بذاتها مستقلة عن الكيفية التي يصورها المنظار الثقافي للفرد؛ و تبعا لذلك فإنّ الحقيقي هي الطريقة التي يفهم بها النّصّ لا النّصّ عينه. و تأسيسا على هذه الرؤية جاز الزعم بانّ النّصّ الأصلي يعتمد على ترجمته لا العكس، بل و يكتسب الوجود من خلال نسخه المترجمة. إنّ رؤيةً للترجمة من هذا القبيل من شأنّها أن تشكل تحديا أمام النظرة التقليدية التي تدّعي للنّصّ ثبوتا في المعنى أراده منتجه. رغم أنّ النفي لوجود أي استقرار في المعنى من هذا القبيل يكون بالطبع متماهيا مع المنحى الداعي للتركيز على الإدراك/الفهم الفردي الخاص، إلا أنّ إيلاء الأهمية القصوى للترجمات المتغايرة المتأثرة بالشروط الخارجية من شأنّه أن يحيل المترجم في دوره من كونه فرد حر إلى مجرد كائن اجتماعي تمّت مثاقفته مع مجتمع معيّن. إنّ الترجمة في كنهها هي تفسير مغاير للنّصّ يتداعى إثره دورالمؤلف الإبداعي في استحداث النّصّ؛ فالمترجم مجازٌ له استغلال الأصل استفادةً من طرق التعبير و تعليقا على النّصّ لا مجرد ترجمته بالمعنى الدارج للكلمة. و الحق يقال أنّ المترجم من هذا المنحى يُشجَّع على تحوير الاصل ليفتح بذلك مساربا لـ "الاختلاف" و يؤجل إلى غير مسمى إمكانيةً بلوغ المعنى بصورة قاطعة.

انبتات المعنى و إعادة انتاج الأصل

إنّ أكثر ما يستفزّ في هذه الرؤية هو القول بأنّ المترجم في الواقع يخلق النّصّ الأصلي ؛ و يتماهى هذا القول مع فكرة "تداعي" كل من حق المؤلف و سلطة النّصّ الأصلي. فالنّصّ الأصلي يعتبر في حالة "إعادة كتابة" تتصل مع كل ترجمة جديدة (أي كل قراءة جديدة) تعيد تركيبه؛ و مع كلٍ فالتساؤلات التي تطرح نفسها فيما يتعلق بمدى الصلاحية لمثل هذه الترخص هو: هل للمترجم الحق في القيام بمثل هذا "العمل الإبداعي" خاصة إن كان كل من الكاتب و نصِّه ينعمان

بمكانة راسخة في الثقافة المصدر؟ أوليس للمترجم مسؤولية أخلاقية تجاه كل منهما؟ و لماذا لا يوفر المترجم على نفسه العناء و يؤلف نصّه الخاص ابتداءً إنّ كان النّصّ الأصلي لا يفي بالغرض؟

و إجابة على هذا التساؤل الأخير، يجئ القول بانّ الترجمة و مع كونها تحاول إخفاء حضور النّصّ الأصلي ، إلا أنّها في ذات الآن تسهم في حفظ النّصّ بـ "بإدامته حيّاً" و "متجاوزا في بقائه لمتاحات كاتبه الأصلي" ، تماما كما يدوم بقاء الأمّ عبر وليدها. و لذا يُحاجّ بأنّ ما يُعطي الترجمة قيمتها الحقيقيّة هو هذا الدور الذي تلعبه في تمكين النّصّوص من اكتساب نوع من "الحياة البَعْديّة" ؛ بعبارة أخرى فإنّ المترجم يهب النّصّ الأصلي حياة بما يضفيه عليه من صلة بالظرف الثقافي ما كانت لتتأتى له لو لا المترجم.

إنّ الوضع المتميز للمؤلف كموجد للمعنى ليس بمثار تساؤل فحسب بل و كذلك هو مواجه بتحد لكونه فارض لسلطة ؛ و هي سلطة يُدفع بضرورة تعريتها لما تخلقه من علاقات للقوة غير متوازنة. فالإنجليزيّة مثلا بامتداداتها العالمية يمكن اعتبارها لغة "استعمارية" و تكون كل الترجمات منها إلى اللغات (المستعمَرة و المُهَيمَن عليها) الأخرى بمثابة تكريس لهيمنة اللّغة الإنجليزيّة. و يبدو ههنا أن التركيز انتقل من الثقافي إلى السياسي، و غادرْنا حينئذ الحديثَ عن التفسيرات الخاصة بكل فرد و عن المحرضات الاجتماعي-ثقافية إلى الحديث عن التدخلات المفتوحة في الترجمة : أي عن الترجمة المدفوعة بمسبب خارجي أو بالنهج النقدي لحالات مجتمعية راهنة.

إضافة إلى مقاومة النفوذ العالمي "المهيمن" للإنجليزية بالترجمة إليها (لا منها) لتكثيف الوعي بالثقافات و اللغات الأخرى، فإنّ المترجم مطالب بإدخال تعديلات مقصودة على وجهات النظر و التعبيرات الواردة في النّصّوص كلما صادف في هذه التعبيرات أو وجهات النظر رؤىً إمبريالية أو استشراقية؛ و كمثال على ذلك فللمترجم أن يقاوم أي تمجيد لكولومبس في سياق نّصّ عن أمريكا الجنوبية، أو أي تصوير للعربيّ كشخص غريب الأطوار و قاسي و حِسّي و يشكل تهديدا محتملا – باختصار كائن إرهابي.

و علاوة على ذلك، فالمترجم وفق هذه الرؤية مطالب بإبرازه إلى حيز العلن ما خفي من مسارات تُتبع في اختيار نصوص بعينها للتترجم و ترك أخرى؛ فهو مدعو لاستخدام ترجماته لـ"الهجوم

المضاد" على قوى الهيمنة. إنّ المترجمين ليُحرَّضوا عل "افتراس الأصل" و نزع مقدرته على الإضرار من خلال تفكيكه و إعادة استعمال مكوناته. و بذا تكون هذه الرؤى التهجينية لعملية الترجمة مسهمة أيضا في رد مفهوم "الأصل" إلى كونه أمر نسبي، و تنزع عنه رمزية التفوق؛ و هو أمر من شأنّه أن يلقي بمجمل مفهوم الترجمة في دائرة من التساؤلات.

إنّ تبني "استراتيجية ترجمة المقاومة" تتطلب من المترجم تعرية النّصّ الأجنبي عند نقله لا محاولة ستره ؛ فمثلا عند ترجمة نّصّ يدور حول فوائد الغزو الأجنبي مع الإغفال المتعمد للمصدر و موقفه الأيدلوجي، يتوجب على المترجم أن يبرز ذلك المصدر.

و مما يشار إليه هنا أنّ الانسيابية في النّصّ قد توحي بانّ النّصّ غير مترجم، إلا أنّ هذه الطلاقة في النّصّ المترجم من شأنّها أيضا تدمير الفوارق بين مجتمعي النّصّين (المصدر و الهدف) و تغييب المترجم. أمّا إذا ما رام المترجم النجاح في مقاومة "تغييبه" نفسِه فعليه أن يجعل من ترجمته "بارزة"تشكل منصات للاختلافات اللّغوية و الثقافية و لإعادة تركيب مقصود لنصوص جديدة لا تُطابق أصلها.

فحقُّ المترجم في التأكيد على اختلاف القيم الثقافية يسندرؤيةً في الترجمة تدافع عن دور الجنوسة (الجندر) و أهمية الوعي الجنوسي (الجندري) في عالم الترجمة؛ فدور النساء المترجمات أصبح مؤثرا في هذا المجال و أيضا في الصورة التي تُجَسِّد الترجماتُ فيها المرأة. و يطالب علماءُ الترجمة من أتباع الحركة النسوية بمواقف علنية مناصرة لها و بالتحويل المقصود للنصوص الأصلية بهدف مناصرة أفكار الحركة النسوية و احتفاءِ مناصريها بالاختلاف.

بربط ذلك كله معا، يستخلص أنّ مفاد الرسالة للمترجم وفق الآراء "ما بعد الحداثوية" هذه هي الإشارة أحيانا إلى وجوب نزع المترجم ذاته من موقعه التقليدي كـ "خادم"للنّصّ الأصلي و مؤلفه؛ فللمترجم تتاح حرية تخطي ما اعتمد عرفاً كعملية ترجمة و له أن يبدع نصوصا جديدة و مختلفة يكون باعثها أحيانا اجندات اجتماعية-سياسية.

ينظر أحيانا إلى القول بأنّ النّصّ المترجم له وضعه الخاص المستقل على أنّه أمر يصدق على الترجمات الأدبية و التي في سياقها يعتبر النّصّ الأصلي بالضرورة قليل الأهمية؛ و ما يستحوذ على الأهمية القصوى و الاعتبار الأكبر هو مدى تماهي النّصّ المترجم مع أدب اللّغة الهدف و مدى انسجام و تاثير النّصّ المترجم في نظام الأدباللّغة الهدف. فالأمر لا يتعلق فقط بالكيفية التي

تترجم بها النّصّوص، بل و كذلك بالأسباب وراء اختيار هذه النّصّوص للترجمة و لما هذه النّصّوص المترجمة من أوجه شبه و اختلاف مع نصوص اللّغة الهدف الموجودة سلفا. إذا فقد انصرف الاهتمام من التركيز على النّصّ الأصلي و بواعث انتاجه إلى التركيز على الشروط الخاصة باستقبال هذا النّصّ و على الأهمية التي يمكن أن تحوزها النسخة المترجمة في ثقافة مغايرة.

وفق هذه الرؤية فالمترجم تحكمه أعراف و "معايير" انتاج و استقبال النّصّ في الثقافة الهدف؛ و للحقيقة فإنّ مفهوم **المعايير** مفهوم أساسي في إدراك شبكة الإرتباطات - التي تصوغها الشروط الاجتماعية و الثقافية- القائمة بين مختلف النّصّوص المترجمة في الثقافة الهدف و أيضا بين المترجمين و نقادهم و القراء. بإمكان المرء أن يستخلص معايير الترجمة هذه باجراء دراسة مقارنة على مجموعة من الترجمات لنّصّ واحد تمّت في فترات مختلفة و بواسطة مترجمين مختلفين؛ إنّ من شأن مثل هذه المقارنة أن تبرز معايير الترجمة في أزمنة مختلفة و تظهر كذلك القواعد غير المدرَكة لطريقة اتخاذ القرار الترجمي.

إنَّ معايير الترجمة تؤخذ على أنّها جزء من مجمل النظام المركب للثقافة الهدف و هذا الأخير هو ما سُكَّ له مصطلح **النظام المتعدد**. فالنظام المتعدد هذا يشير إلى الشبكة الكاملة من الأنظمة الأدبية و اللا-أدبية في المجتمع؛ فكل أنماط الكتابات في ثقافة ما، ابتلاءاً من النّصّوص الدينية وصولا إلى ما هو هامشي و إلى ماهو "مستوردٌ"ترجمةً، يمكن موضعته في ثنايا النظام المتعدد هذا. و قد تكشف المقارنات في داخل النظام إن كانت النّصّوص المترجمة قد تبنت أعرافاً معينة كنتيجة لعلاقتها مع نصوص أخرى في نظام اللّغة الهدف و كيف تمّ ذلك التبني. إنّ مصطلح **متعدد** يومئ إلى ذيّاك التعقيد و الترابطية الماثلتين في النّصّوص و المعايير و الروابط.

علاوة على ذلك فسيكون لافتاً أيضا ذلك التأثير المحتمل للنفوذ الإبداعي للترجمة كـ "فحوى ثقافي" على التقاليد الأدبية و الأعراف السائدة في نظام الثقافة الهدف. فقد استخدمت الترجمة على مرِّ العصور كأداة لتطوير اللّغات و الثقافات الوطنية حين -على سبيل المثال- تكرِّس التقاليدُ الكلاسيكية ثوابتاًللأمة ، أو حين تطغى شهرةُ أدب المستعمر بسبب تأثير الآداب المترجمة ؛ و أشهر مثال على ذلك هو نفوذ ترجمات أعمال شكسبير على الأدب الألماني و كذلك تأثير ترجمات لوثر على تطوير اللّغة الألمانية.

إنّ رؤيةً للترجمة من هذا القبيل من شأنّها بالضرورة أن توجه الانتباه إلى التطور التاريخي للمعايير الأدبية في الثقافة الهدف و إلى طبيعة الترجمة المتصفة بالتغيّر عبر الزمن و عبر الثقافات ، و هو تغيّر يقع حين تُجددُ النّصّوص بصورة مستمرة لتلائم المعايير الثقافية المختلفة. فمثلا نجد أنّ ترجمة شكسبير إلى اللّغة الفرنسية وفق أعراف المسرح الكلاسيكي تختلف تماما من حيث كونها عمل أدبي عن ترجمته إلى الألمانية لاحقا و التي تميزت بالانغماس في الرومانتيكية عاكسة بذلك روح العصر. أما النماذج المتأخرة لترجمات شكسبير فهي تلك الترجمات "الواقعية" التي لا تُحصى لمسرحيات شكسبير و التي من خلالها نرى شكسبير و قد تحول إلى كاتب مسرحي من مواطني الزمن المعاصر.

و للقناعة بأنّ النّصّوص المترجمة تتموضع في سياقها الاجتماعي-الثقافي من لغة الهدف ، تندغم دراسة الأدب في دراسة قوى التاريخ الاجتماعية و الاقتصادية؛ و يتيح هذا الإندغام مقارنة الترجمات المختلفة عبر الأزمنة و الفضاءات لذات النّصّ؛ و ضربا للمثال على ذلك يستشهد بالطريقة التي تُرجمت بها إلى العبرية قبل و عقب الحرب العالمية الثانية كتبُ الأطفال الألمانية حيث مُحيّ كل أثر دالٍ على أصل النّصّ من قبيل الأسماء الألمانية و المواقع و ما شاكل ذلك.

و أخطر ما قد يشوب هذا النهج من هنّات هو أنّ النسخة المترجمة لربما تنجر بعيدا عن الأصل من باب المواءمة الثقافية لدرجة يصعب إزاءها التحديد إذا ما كانت هذه النسخة ترجمة لأصل أو هي نص يدين بوجوده لفعل عمليات أخرى تجرى لإنتاج النّصّوص من قبيل إعادة الصياغة أو التلخيص أو "العصرنة" أو "التبسيط" لنص أصلي. قد يحتج البعض بأنّ الترجمة تنطوي على قدر معين من المواءمة تقع على الأصل، إلا أنّه لا بد من حدود للمدى الذي يمكن أن تبلغه هذه الموائمة بحيث لا ينتفي صدق الإدّعاء بأنّ النّصّ المنتج هو ترجمة لآخر لأصلي. تُرى هل حقاً يمكن اعتبار الترجمة مجرد مصطلح نسبي يعتمد على قوى التاريخ و على **النظام المتعدد** للثقافة؟ هذه اشكالية ذات بال سنتطرق إليها ثانية في البابين الثالث و الرابع من هذا الكتاب.

التركيز على بُعد أغراض الترجمة

التركيز على أغراض الترجمة (النظرية الغائية) يشابه عملية مواءمة النّصّ المترجم لمعايير الثقافة الهدف ، ذلك أنّ كلا الأمرين لا يقرّ بحصانة النّصّ الأصلي و يعوّل على جعل الترجمة موصولة بالمتلقي. إنّ معايير الثقافة الهدف لذاتُ بال ، إذ في بيئتها تلك يتسنى للترجمة أن تحقق

الغرض منها ؛ و تبعا لذلك يضمحل دور النّصّ الأصلي كما تضمحل أهمية بنائه اللّغوي بينما تعلو وضعية و قدر المترجم، الذي يطلق عليه أحيانا " المؤلف الشريك" و ذلك لامتلاكه زمام الأمر في تحقيق الهدف الأسمى المتمثل في ايصال وظيفة النّصّ للمتلقي.

و بما أنّ النّصّ الأصلي في هذا الإطار تُردُّ وضعيتُه إلى مجرد " إتاحة لمعلومات" ، فقوالب هذا النّصّ اللّغوية و معانيه تفقد تبعا لذلك أهميتها؛ إلا إنّ الأمر المشكل ليبرز هنا حين يكون لنص ما - خص به هدف ما- معنىً "أساسي" مستقلٌ عن المعنى الذي يُلبسِه المتلقي على ذات النّصّ. إذا نظرنا مثلا إلى اشياء من قبيل مراسلات الأعمال و فهارس سلع البيع الإلكتروني و تقارير المبيعات و الكتيبات السياحية و ارشادات دواعي الاستعمال و النّصّوص التقنية و الاعلانات و ما شاكلها، لربما نقول أنّها لا تنطوي الواحد منها على معنى أساسي تبلغ أهميته مبلغا يجدر معها الإبقاء عليه. فمثل هذه النّصّوص تسْهُل "إعادة صوغها" لمستقبلين جدد خاصة و أنّ هذه النّصّوص تركز على الفعل المباشر من طرف المتلقي ؛ ما يعول عليه تاكيدا ليس ما يفصح عنه مؤلف النّصّ الأصلي و لكنّ المعول عليه هو الأثر الذي يحدثه النّصّ المترجم ؛ و هذا الأثر المتوخى يتأتى في كثير من الأحيان على حساب المعنى الدلالي للنص الأصلي.

و لنا أن نتساءل : هل هذا التركيز على الأثر المتوخى يبرر عدم الاعتبار بالأصل بغض النظر عن نوع النّصّ؟ و إجابة لذلك ، يمكن القول أنّ في حال معظم النّصّوص الأدبية و العلمية ذات القيمة التاريخية لربما يكون من الضروري نقل المعنى كما هو إذ أنّ مثل هذه النّصّوص تستحق درجة من الاستقلالية عن المتلقي ؛ أي أنّ سمات مثل هذه النّصّوص يجوز لها أن تمارس شيئا من المشيئة في الكيفية التي يمكن أن تفسر بها و تفهم.

ملخص

وضعا في الاعتبار التعقيدات التي تكتنف الترجمة ، فيجوز ، بل ويُتحتّم أن تدرس الترجمة من منظورات متغايرة: لغوية و ثقافية و اجتماعية-سياسية و أدبية و غائيّة التوجه. أما المنظورات اللّغوية للترجمة و التي تركز على النّصّ الأصلي فوسّعت مداها مؤخراً بصورة لافتة و استوعبت وجهات النظر القائلة بوظيفية اللّغة و تلك القائلة ببرغماتية اللّغة (الناحية العمليةللّغة). أما اولئك العلماء الذين يركزون على المنظورات التي هي أكثر ميلا لنواحي النفسية و "الذاتية" فينفون أحيانا عن النّصّ كل صلة و ارتباط بالسياق الجديد ، مثبتين بقوة أهمية الصلة و التأثير

للنّصّ الهدف. أما التركيز على تفسيرات النّصّ المشروطة بالثقافي و على هدف الترجمة فهي الاسهامات الأحدث (أواخر القرن العشرين) في هذا المجال.

الباب الثالث

التكافؤ في الترجمة

الترجمة هي عملية استبدال نص في إحدى اللّغات (اللّغة المصدر) بنص في لغة مغايرة (اللّغة الهدف) ؛ حيث يعدّ النّصّ الأول أصلي و مستقل ، بينما يعدّ النّصّ الثاني مجرد نسخة مشتقة من الأول ؛ فالنسخة المشتقة تقوم مقام الأصل و يصف الاثنان بأنهما متكافئان. و على أيّ ، فمفهوم التكافؤ ليس بالمفهوم البسيط.

أنواع التكافؤ المختلفة

حين نحكم على أمرين بأنهما متكافئان فإنّا لا نعني بذلك أنّ هذين الأمرين متطابقان ، بل نعني أنّهما يحملان بعض المشتركات و يؤديان عملهما بطرق متشابهة. فمثلا يمكن للمرء أن يقول بأنّ المصباح الكهربي هو المكافئ المعاصر للشمعة رغم انتفاء التشابه بين الاثنين في كثير من الأوجه. و بإتباع ذات الطريقة في القياس ، نجد بوضوح أنّ النّصّ المترجم لا يحمل إلا القليل من التشابه اللّغوي مع النّصّ الأصلي و مع ذلك فبإمكانهما أن يكونا متكافئين ، أي متكافئان من حيث القيمة حيث أنّ كليهما يحمل ذات الرسالة و يؤدي ذات الغرض. إلا أنّ ما يمكن وصفه بالتشابه يعتمد على مكمن ما يعده المرء أولوية و مبعثا لاهتمامه كما رأينا في الباب الثاني.

إنّ التكافؤ في الترجمة لا يمكن حمله على معنى "التطابق" أو امكانية الارتجاع ، ذالك أنّه لا سبيل إلى علاقة تقوم على مبدأ "واحد مقابل واحد" بين النّصّ المصدر و ترجمة بعينها ؛ بل إنّ النّصّ الأصلي لربما تكون له عدة ترجمات مختلفة يمكن اعتبارها مكافئة له بطرق مختلفة اعتمادا على الطريقة التي يُفهم بها التشابه في الرسالة و الدور. و هذا أمر يأخذ في الاعتبار العوامل البرغماتية (العملية)المختلفة ، و التباينات في نظامي اللّغتين المعنيّتين ، و ما شاكل ذلك. فالمترجم عليه دوما أن يتخيّر ما بين بدائل شتى لتحقيق معنى معين في سياق استخدام معين و لربما ينتهي به الأمر إلى قبول نوع من التنازل و التسوية.

أول نوع من أنواع التكافؤ نتطرق إليه الآن هو نوعٌ ذو طبيعة لغويّة ، و لنا الاشارة هنا إلى التمييز بين المكافئ الشكلي و المكافئ النّصّي الوارد في الباب الثاني و الذي يقول به كاتفورد. فيقال بوجود المكافئ الشكلي بين مكونات كل من نصّ المصدر و نصّ الترجمة حين تتخذ أقسام

الكلام في نظام لغة النّصّ الهدف ذات المواقع من الجملة التي تحتلها رصيفاتها في لغة النّصّ المصدر. فمثلا نجد أنّ فئة افعال الصّيغ (من قبيل can و will –المترجم) موجودة في نظام كل من للّغة الإنجليزيّة و للّغة الألمانية و لذا ففعل الصيغة الإنجليزي (can) (و الذي يعني : يمكن - المترجم) يمكن استبداله بمقابله الشكلي/البنيوي في للّغة الألمانية (können) ؛ و أحينا نجد لهذا المقابل الشكلي/البنيوي تقابلا نصيا ، فمثلا العبارة الإنجليزيّة و التي تعني "أنا لا يمكنني أبدا أن أقطّع البصل دون أن أبكي" يمكن ترجمتها إلى الألمانية على هذا النحو "لا يمكنني أبدا تقطيع البصل دون بكاء" ؛ إلا أنّ هذا المقابل الشكلي/البنيوي قد لا يتوفر في للّغة أحيانا و يكون على المترجم حينها أن يتعامل مع ما يسمى بنقلات الترجمة فيما يتعلق بأقسام الكلام و التراكيب. فمثلا أننا لا نجد في للّغة الإنجليزيّة مقابلا مباشرا لصيغة حرف الفعل (Modal Particle) الألماني (wohl و الذي يعني ربما) و يجوز في مثل هذه الحالة استخدام فعل الصيغة (Modal verb) الإنجليزي (may و الذي يعني ربما) كمقابل نصّ مقبول.

هنالك تمييزا آخر -عرضنا إليه باقتضاب في الباب الثاني- قال به يوجين نايدا و هو التعادل الشكلي/البنيوي في مقابل التعادل الدينامي. إذ أنّه قي بعض الحالات يكون من الأنسب للتكافؤ النّصّي أن يكون قريبا جدا من المقابل الشكلي/البنيوي حتى و إن اتسم المُخْرَج بالرسمية و شابته "عدم الطبيعية" ؛ و ينطبق هذا الأمر على ترجمة الوثائق القانونية او الوثائق المقدسة حيث تعد الصياغة الحرفية أمرا جوهريا للرسالة المراد ايصالها. إنّ هذا النوع من التعادل الشكلي/البنيوي يرمي إلى المحافظة على أكبر قدر ممكن من سمات النّصّ الأصلي ؛ و بالمقابل يرمي التعادل الدينامي إلى استيعاب حاجات و معايير قارئ الثقافة الهدف و إلى انتاج نصّ يكون أكثر طبيعية في ادماجه للقارئ؛ و هذا النوع -التعادل الدينامي- يكون أنسب ، على سبيل المثال، في ترجمة الإعلانات أو الرسائل الموجهة إلى حاملي الأسهم أو الكتيبات السياحية.

إذا فالتكافؤ ما هو إلا أمر نسبيّ إذا ما وضعنا في الاعتبار الاختلافات في طرق ترميز اللّغات للموضوعاتِ و كذلك عوامل السياق المختلفة و التي تؤثر على فهمنا و تفسيرنا للنصوص. إلا أنّ هذه النسبيَّة يجب أن تكون في إطار ما يسمى بـ"الثابت" المتعارف عليه : أي سمات النص الأصلي اللآزمة للنقل في النص المترجم بغض النظر عن الاختلافات التي تبدو في مناحٍ أخرى للنّصّ الأصلي. إنّ هذه السمات الثابتة توصف بأنّها تعبر عن **نقطة المقارنة** في الترجمة : أي العامل أو العنصر الثالث المشترك بين مقارنين إثنين. فالثابت ، إذا ، هو الذي يحدد بالمحصلة

الى أي مدىً تعتبر الترجمة مكافئة للأصل ، و التقرير بهذا التكافؤ لا ينسحب سردا على كل الحالات ، بل يتوجب النظر في كل حالة على حدة. و كما رأينا في الباب السابق ، فما يعد ثابتا يعتمد بصورة أساسية على الجوهري من المحتوى أو النقاط أو الأهداف التي ترد في النّصّ الأصلي أو المترجم ؛ كما أنّ كل ذلك يتأثر كثيرا بالنهج المتبنّى في عملية الترجمة كما سبق و رأينا. عليه، فإنّ تحقيق التكافؤ و درجته يعتمد على التأثير المتبادل بين عدد من العوامل المختلفة. و في مسعىً لتنظيم هذه العوامل ، طرح فيرنر كولر عددا صغير من الأنساق للتكافؤ في حالاته المختلفة متناولا الخمسة الأنساق الأبرز فيها و هي:

١- المدلولاتفوق اللّغوية "على أرض الواقع" التي يشير إليها النّصّ. و يسمى مثل هذا التكافؤ بـ **"التكافؤ الإشاري/الحقيقي"** ؛ فمثلا في كل من الجملتين الألمانية و الإنجليزيّة اللّتين تعنيان بالعربي "روما هي عاصمة إيطاليا" نجد أنّ كلمتي "Rome" بالإنجليزيّة و "Rom" بالألمانية تشيران الى ذات المدول و يكونان بذا متكافئين من حيث الاشارة.

٢- الإيحاءات الواردة في النّصّ : أي الأحاسيس و التداعيات ذوات المعايير الثقافية التي تُستدعى بواسطة مصطلح معين أو عبارة معينة ، و تستثار بالاستخدامات أو الأساليب اللّغوية على مستوياتها المختلفة أو عن طريق لهجات مجتمعية أو جغرافية ؛ فعلاقة التكافؤ الناشئة هنا تسمى بـ " **التكافؤ الإيحائي**". و لتوضيح ذلك نجد مثلا أنّ الإيحاءات و التداعيات التي يستدعيها مصطلح "إفطار" في سياق دول تتحدث اللّغة الإنجليزيّة يختلف تماما عن تلك التي يستدعيها ذات المصطلح في سياق دول اسلامية خلال شهر رمضان.

٣- معايير الاستخدامات اللّغوية و السياقية التي تطبع نصا بعينه: و هو ضرب من التكافؤ يتعلق بأنواع النصوص و يسمى بـ **"التكافؤ معياري النص"**. فمثلا نجد أنّ الشكل البنائي لكتابة الرسالة يختلف باختلافالمجتمع اللّغوي و الثقافي الذي تصاغ فيه ، و هو ما يجب أخذه في الاعتبار حين القيام بعملية الترجمة.

٤- المتلقون الذين "صيغت خصيصا" الترجمة لأجلهم حتى تؤدي غرضها ، أي غرضها التواصلي المخصص لهم ؛ و يسمى هذا النوع من التكافؤ بـ**التكافؤ البرغماتي**. فمثلا يمكن أن نجد في الترجمة الإيطالية الحديثة للتوراة اشارة الى المسيح داخلا روما على ظهر دراجة

فيسبا بدلا من دخول القدس على ظهر حمار. (والواقع أنّ هذا مثال أورده يوجين نايدا في إحدى خطبه حول ترجمة الإنجيل.)

٥- السمات الجمالية و الشكلية للأصل ، و هذا الضرب من التكافؤ هو **تكافؤ شكلي جمالي**. فمثلا إذا أفلح المترجم في الابقاء على سمات النص الأصلي من لعب بالكلمات و قافية و سجع و جناس يكون قد حقق هذا التكافؤ الشكلي الجمالي في ترجمته.

بالنظر لهذه الأطر المختلفة و أنواع المكافئات المترتبة عليها يتضح جليّا عدم إمكانية تحققها مجتمعة في حالة ما مفردة ؛ فدوام العمل على الاختيار من بين البدائل أمر ضروري للترجمة التي هي بطبعها مسار لاتخاذ القرار ؛ و بعبارة أخرى على المترجم أن يضع هرما تراتبيا بالمطلوبات المتوخاة من التكافؤ مستصحباً في ذلك نوع النّصّ المتناول و هدف و نوع الترجمة المقصودة.

الجدل حول التكافؤ

إنّ النقد الذي يوجه الى استخدام التكافؤ كمفهوم مركزي في الترجمة ، يشي أحيانا بنظرة ضيقة للتكافؤ تتأسس فقط على فكرة التشابه في النحو و المفردات ؛ إلا أنّه و كما سبقت الإشارة، فمصطلح التكافؤ ينطبق على شيئين أو أكثر بينهم "تساوٍ في القيمة" أو "تطابق في القيمة" أو "لهم استخدام أو دور مماثل لشئ آخر" . و طبقا لذلك ، فبإمكان نصان أن يكونا متكافئين حتى و ان كان بينهما النّذر اليسيرمن التعادل الشكلي/البنيوي.

نسبة لربط مفهوم التكافؤ أحيانا بالتعادل الشكلي/البنيوي و بالاعتقاد في أهمية النص الأصلي ، نجد أنّ مناصري التفسير والهدف كمنهجَين في الترجمة يميلون ، كما أشرنا في الباب الثاني ، إلى رد مفهوم التكافؤ باعتباره موغلا في الآلية و مقيِّد. و يروْن بأنّ التكافؤ لا يتناغم مع ما يولونه من عناية للتفسير الذاتي و للهدف من الترجمة. كذلك يردون التكافؤ بحسبانه يفترض وجودا لمعنى مركزي في النّصّ قار يمكن نقله غير منقوص الى نصٍّ آخر ، و هذا افتراض يسير عكس اتجاه الفكرة القائلة بأنّ المعنى مستلهم من النّصّ و معتمد على فهم و تفسير القارئ ؛ بل و يُفضّل أحيانا مفهوم "الإبانة" على التكافؤ ذلك أنّ هذه الإبانة لا ترتبط بالنّصّ بل بالطريقة التي يفهم بها النّصّ. إنّ منتقدي مفهوم التكافؤ يلحون في الدعوة لتعريفه على أنّه يعني ببساطة العلاقة القائمة بين النّصّين (المصدر و الهدف) طالما كان لهذين الإثنين " قيمة تواصلية متساوية". بهذا

التعريف يكون التكافؤ قد صار حالة خاصة ملحقة بما يسمى بـ "المُلاءة" ، و هي تعني أن يكون للنصين المصدر و الهدف ذات الهدف. و لتوضيح ذلك مثلا فإذا استبدل المترجم كوب الشاي المعروض في النص الأصلي بكوب من القهوة تكون ترجمته لا تزال ملائمة ، ذلك أنّها أوفت بذات الهدف و هو إبداء كرم الضياقة.

إذا ماذا نستخلص من هذه الانتقادات التي صوّبت لمفهوم التكافؤ و من عديد المحاولات الرامية لجعل مفاهيم بديلة مكانه؟ و هل من ما يفيد فهمنا للترجمة أن نربط التكافؤ ، و هو مناط عملية الترجمة ، بالإبانة و الهدف التواصلي ، أو أنّ ذلك الربط سيجعل التكافؤ معتمدا اعتمادا كاملا على شروط استقباله و على ظرف الاستخدام؟ إنّ التكافؤ إذا ما استخدم بالمعنى النسبي المبيّن بصورة واسعة في أنساق التكافؤ آنفة الذكر فسيظل بلا ريب مفهوما مفيدا و لا سبيل إلى الاستغناء عنه ؛ و على كل يبقى من الضروري أن ندقق تعريفنا لمفهوم التكافؤ حتى يتسنى لنا ضبط حدوده فنتمكن بالتالي من التمييز بين ما هو ترجمة و ما هو نوع من التكييف للأ صل أو نسخة معدلة منه.

نسق تحليلي لإقامة التكافؤ

لنا أن نفترضمبدءاً أنّه لا بد أن يكون للنصّين الأصلي و الترجمة دور متكافئ طالما كان ذلك ممكنا؛ و يمكن تعريف هذا الدور بأنّه يعني ببساطة ما للنص من استخدام أو إعْمال في سياق موقف معين.للحقيقة فالنّصّ و السياق أمران منفصلان، إلا أنّهما يتفاعلان معا عبر رابط لا تنفصم عراه يجمع البيئة الاجتماعية و الصّوْغ الوظيفيللّغة. إذّا حين نحلل نصّا أصليا و نقارنه بترجمته و نحدد نسق التكافؤ الذي تهتدي به عملية الترجمة يجب أن نسند النّصّين الى ما يحيط بكل منهما من سياق معين ؛ و ليتأتى لنا ذلك يتعين تقسيم المفهوم العريض لسياق الموقف الى وحدات أصغر يسهل تناولها.

إحدى طرق التحليل هذه تكون عبر استخدام مفاهيم **المجال (feild)** و **الرابطة(tenor)** و **القالب(mode)** ، و هي أبعاد ثلاثة تنتمي الى علم **للّغة** الاجتماعي و تشترك ثلاثتها في تحديد سمات **للّغة الخاصة (register)** أو شريحة لغويّة معيّنة حال الاستخدام. أما المجال فيظهر لنا الموضوع المطروق حيث يسوغ السؤال : عمّا يتحدث النّصّ؟ ما نوعية الأمور الواردة في النّصّ؟ فإن اسفر التحليل عن مجال يتطابق فيه الأصل و الترجمة، قلنا إنّ النّصّين متكافئان من

حيث محتوى الطرح (أي ما يتناوله المؤلف). أما الربطة فتشير إلى طبيعة كل من: المشاركين ، والمؤلف و مخاطبيه، و العلاقة بينهم من حيث السلطة و الإلفة، و موقف المؤلف الفكري و العاطفي (أي رؤيته الذاتية). و هنا نسوق أسئلة من قبيل: كيف ينظر المؤلف إلى القارئ و – وقد يكون – إلى الأشخاص في نصه؟ كيف يحس كل من المؤلف و القراء ببعضهم البعض عبر النّصّ؟ فالتكافؤ من حيث الرابطة يعني أنّ النّصّين يجسدان ذات التفاعل البيني (بين الأشخاص). أما القالب فيشير الى قناة التواصل ، و قد تكون مكتوبة أو مقروءة، أو ما بينهما أي: ما هو "مكتوب ليُقرأ"، أو"مكتوب ليُقال و كأنّه غير مكتوب". و هنا نسأل الأسئلة التالية أمثلتها: كيف تمظهَرَ النّصُّ فعليا؟ ما الوسيط الذي استخدم و كيف استخدم؟ فالتكافؤ من حيث بُعد القالب يرتبط بالوسيلة التي تم عبرها إنفاذ التواصل. و محصلة التحليل بناءا على هذا النهج ، تتجلى في شكل ملمح للنصّ يكون في مجمله مبرزا لسمات ما في ذلك النص من لغة خاصة معينة، أي طريقة ارتباط ذلك النّصّ بعوامل السياق المحددة.

إلا أنّ تحليل النّصّ وفق محددات اللّغةالخاصة هذه لا يُجلّي لوحده الكيفية البراغماتية التي يؤدي بها النص دوره كخطاب ، و لا المعنى المراد من النّصّ إيصاله و لا الكيفية التي يتعين بها فهم النّصّ كحدث تواصلي. فنحن إذا بحاجة إلى توسعة نهج التحليل هذا بإدراجنا فيه لمفهوم **الجنس الأدبي**. و الأجناس الأدبية من قبيل تقارير الأسواق و الخطب الدينية و الأوراق العلمية و الرسائل الى حملة الأسهم تعد جميعها أحداث تواصل/اتصال حُقّقت نصيا عبر إحداث تشكُلات معينة على مستوى الوحدات المُعجمّية و النّحويّة. فالأجناس الأدبية تصل ما بين النّصوص و الثقافة بطريقة يمكن معها أنّ ننسب أنموذج نص ما لما نعرفه من طبيعةٍ لنصوص أخرى تشابهه و تشاركه ذات الهدف التواصلي. فاللّغة الخاصة تظهر العلائق بين النص و سياقه المباشر، بينما يربط الجنس الأدبي كل نّصّ بسياق ثقافي أوسع لمجتمع اللّغةو الثقافة اللتين لفتا النّصّ؛ بعبارة أخرى نقول أنّ اللّغةالخاصة ينظر اليها على أنّها مرتبطة بنوع النّصّ و محَدّدة بسماته اللّغوية ، بينما يعدّ الجنس الأدبي نوعا من الخطاب يؤطره دوره التواصلي داخل مجتمع اللّغة و الثقافة الأوسع. إذا فالجنس الأدبي يمكن أخذه على أنّه تجسيدا لتشكُل معين يتركب من الأبعاد الثلاثةللّغة الخاصة. يبيّن الشكل ٣.١. ما تولّد من مخطط لتقييم **التكافؤ الوظيفي** للنصين الأصلي و الترجمة رابطا ما بين اللّغة الخاصة و الجنس الأدبي.

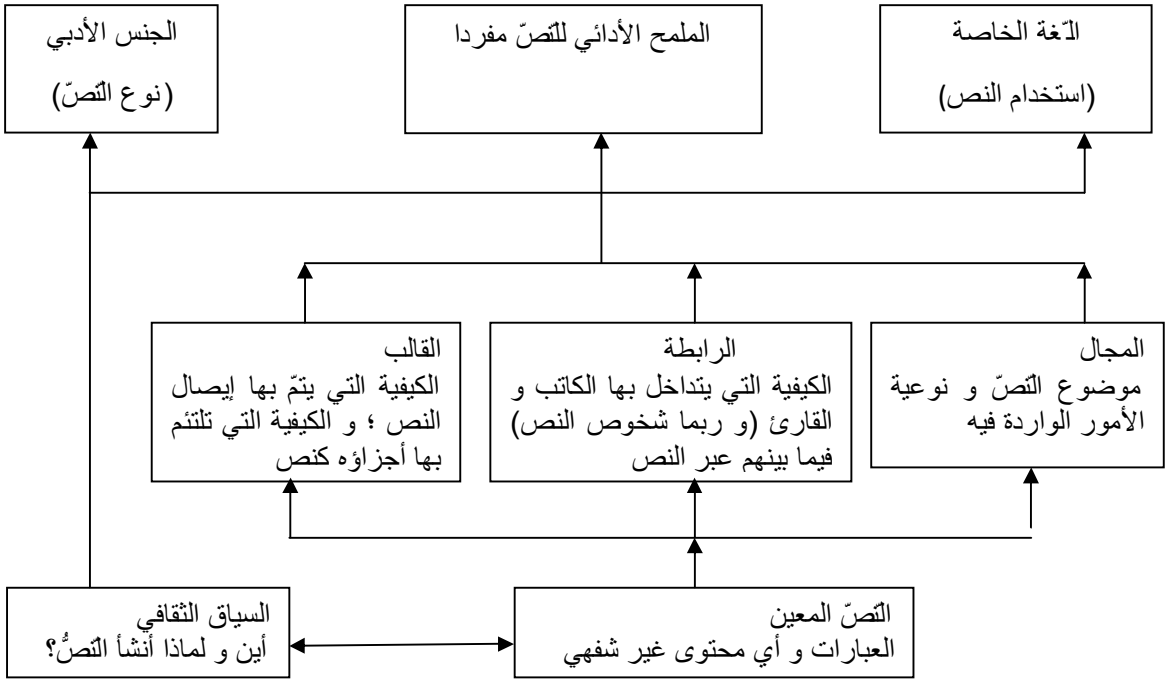

الشكل ١.٣ نظام لتحليل النّصّين الأصلي و المترجم و تقييم تكافؤهما الأدائي

بتبنينا هذا المخطط لتحديد وجود و درجة التكافؤ بين النص الأصلي و الترجمة يصبح جليا أنّ طبيعة للتكافؤ التي سنستخلصها لتعتمِدُ جملةً على نوع الترجمة التي نحن بصددها؛ و هذا ما يقودنا الى الحديث حول ترجمة الإظهار و ترجمة الإضمار.

ترجمة الإظهار و ترجمة الإضمار

يندرج في عمل الترجمة تحرك النصوص عبر الزمان و المكان، و كلما تحرك نصّ تحول من عالم خطاب الى آخر وارتبط بواقع إجتماعي-ثقافي مغاير. و إذا ما طبقنا مفهوم عالم الخطاب على أنواع الترجمة المختلفة جاز لنا القول بأنّه في ترجمة الإظهار يُترك الاطار الثقافي دون مساس ما تيسر ذلك رغم الحاجة إلى التعبير بلغة أخرى. فترجمة الإظهار إذا تنم بوضوح تام على أنّها ترجمة لنص و لا تتبدى كما لو أنّها أصل ثانٍ. بمقايسة "ترجمة الإظهار" إلى مخطط التحليل ثلاثي الطبقات أعلاه، ربما نجد أنّ النّصّين (الترجمة المظهرة و الأصل) متكافئان على مستوى النص و اللّغة الخاصة و الجنس الأدبي و لكن ليس على مستوى الملمح الأدائي للنّصّ منفردا: أي ما يمكن أن يعنيه النص بالنسبة للقارئ الهدف. إنّ التكافؤ الأدائي بين النّصّين وارد من حيث المبدأ، إلا أنّه تكافؤ تختلف طبيعته، إذ يمكن وصفه بأنّه فقط ييسر للقارئ الجديد مولجا

للدور الأدائي المنوط بالأصل. و لضرورة تحقق هذا المولج عبر لغة أخرى و في إطار المجتمع اللّغوي-الثقافي الهدف، فلا مناص من إحداث تغيير في عالم الخطاب؛ و بالنتيجة يكون المتحصل عليه في أحسن الأحوال، نسبة لتحرك الترجمة في عالم خطابها، شيئ يمكن تسميته بـ **المكافئ الأدائي من الدرجة الثانية**. و كنماذج لنوع التكافؤ "المرحّل" هذا، دوننا النّصّوص المنشأة في ظروف تاريخية بعينها لا تتكرر ، من مثل الخطابات التي يلقيها المشاهير في أزمنة و أوقات بأعينها ، فقارءو الترجمة يعون أنّ النّصّ ليس موجه إليهم، بل إلى مخاطبين آخرين. خذ مثلا خطبة ألقاها كارل بارث في نزلاء بسجن باسيل في ربيع عام ١٩٦٤؛ نص تلك الخطبة هو موعظة دينية وجهت لنزلاء سجن بعينه في زمان بعينه قصد بها التهوين على المخاطبين في ظرفهم المعين ذاك. نجد في تلك الخطبة إشارات إلى أحداث و نزعات معيّنة وَسَمت الفترة التي تُكِّت و أُ لقيت فيها الخطبة –فهي مصممة بالكامل لتعني شيئا بالنسبة إلى المخاطبين الأصليين ؛ و ما لترجمة هذه الخطبة إلا أن تكون مظهرة: فهي لن تكون أبدا بذات المعني لمخاطبين أغيار ؛ و كذا المكافؤ لا يعدو مجرد كونه مجزوء و غير مباشر.

و بما أنّ هذا النّوع من التكافؤ يتحقق من خلال التكافؤ على مستوى النّصّ و اللّغة الخاصة و الجنس الأدبي، فعالم خطاب الأصل يُفعّلُ بازدواجية تُمكّن أهلَ الثقافة الهدف من "استراق السَّمْع" و تثمين الأداء النّصّي للأصل و إن كان من على بُعد؛ فدور المترجم في ترجمة الإظهار يكون دوراً جلياً. و طالما أنّ من صميم عمل المترجم تيسير مدخل و انطباع سليم عن النّصّ الأصلي، فلا مناص له من أن يهيئ لأهل الثقافة الهدف موضعا يُخولهم ملاحظة و/أو محاكمة النّصّ "من الخارج".

أمّا في **ترجمة الإضمار** فللمترجم بل و عليه أن يسعى الى إبداع حدث اجتماعي-ثقافي مكافئ؛ إذ يجب أن تبدو الترجمة هنا و كأنّها ليست بترجمة؛ و بهذا الفهم فدور المترجم يتجسد في إخفاء الأصل الحقيقي للنّصّ و يبقى مختفيا وراء إعادة إبداعه للأصل؛ و أمّاالدور الّذي يلعبه الأصل في عالم خطابه فيلزم إعادة إنتاجه الى أبعد درجة ممكنة. و عليه يمكن القول أنّ ترجمة الإضمار تعمل بشكل "علني" في عالم خطاب الثقافة الهدفدون محاولة لاستصحاب عالم الخطاب الّذي تبدّى فيه الأصل؛ و طالما أنّ المنشود هو التكافؤ الأدائي الكامل فيجوز التعديل و المناورة على مستوى النّصّ و اللّغة الخاصة و ذلك بإعمال المرشّح الثقافي (و هو ما سنأتي عليه لاحقا) ، و قد تكون النّتيجة إبتعادا حقيقيا عن الأصل.رغم أنّه لا حاجة للأصل و ترجمته المضمرة لأن يكونا

متكافئين على مستويات النّصّ و اللّغة الخاصة، إلا أنّ عليهما التكافؤ على مستويات الجنس الأدبي و الملمح الأدائي الخاص بكل نصّ. فلو نظرنا الى ترجمة الإعلانات ،كمثال على الترجمة المضمرة،لوجدنا أنّها تعمل و كأنها أصل ليتأتى لها ذات التأثير و الإقناع الذي لأصلها.

إن أردنا تحديد طبيعة التكافؤ بين الأصل و ترجمته، فسيتعين علينا أن نأخذ في الاعتبار الاختلافات الأساسية التي توجد بين نوعي الترجمة هذين: ترجمة الإضمار و ترجمة الإظهار. إذ أنّ كل واحد من هذين النوعين يفرض على المترجم متطلبات تختلف عن متطلبات الآخر؛ فترجمة الإظهار هي، بطريقة أو أخرى، "الأكثر مباشرةً" ذلك لأن الاصل يمكن استصحابه دون تبديل لما هو اجتماعي-ثقافي؛ أما في ترجمة الإضمار فعلى المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار عالَميّ الخطاب المختلفَين لكل من ثقافة المصدر و الأصل و أن يُعملَ ما يسمى بالمرشّح الثقافي.

مفهوم و دور المُرشِّح الثقافي

يُعرّف **المُرشِّح الثقافي** بأنّه وسيلة لالتقاط الفروقات في المشترك ثقافيا من تقاليد سلوكات و تواصل و أساليب خطاب مفضلة و أنماط توقع لدى كل مجموعة من المجموعتين اللّغويّتين المعنيّتين – المصدر و الهدف. و لأنّ هدف الترجمة المضمرة هو تحقيق التكافؤ الأدائي ، فافتراضات الاختلاف الثقافي يجب أن تُدرس باهتمام و تُبيّن على كافة مستويات التحليل قبْل أن يُقحم المترجم نفسه في معاني الأصل ؛ فما يجتاز المرشّح من افتراض دون تنبيه يعد منسجما ثقافيا إلا إذا ثبتت دلالة تقول بغير ذلك. و هذه الدلالة يمكن استخلاصها بإجراء بحوث عبر الثقافات و هي التي بدورها ستعطي قيمة للمرشّحات الثقافية الخاصة بكل زوج من اللّغات. فمثلا عند تناول مجتمعين تسود في إحداهما الثقافة و اللّغة الإنجليزيّة (أنجلوفون) و في الآخر الثقافة و اللّغة الألمانيتين ؛ فالمرشحات الثقافية في هذه الحالة يمكن تعضيضها بدراسات تجريبية (امبريقية) تتناول التحليلات البرغماتية -التقابلية التي تبيّن الاختلاف حول مجموعة من التفضيلات الثقافية من قبيل: المباشرة في مقابل المواربة، و التصريح في مقبل التلميح و هلمّ جرّاً. خذ مثلا ترجمة طلب (معلم لطالب في المسبح) من اللّغة الإنجليزيّة "رجاءا الخروج من هناك" الى اللّغة الألمانية *أخرج إلى هنا الآن!* ففي هذه الحال يتعين علينا، لنقيّم حسن الترشّيح الثقافي، أن نأخذ بعين الاعتبار ما هو دارج في سياقات مؤسسات و أجناس أدبية متناظرة من تقاليد لأسلوب التعبير عن الطلب تكون في عمومها الأكثر مباشَرة.

يمكن القول أنّه بخلاف ما لمفهومي البراغماتية التقابلية و التحليل التقابلي للخطاب من متاحات للإسهام في تقييم الترجمة المضمرة ، فكفاية تطبيقات المرشّح الثقافي لا يزال تقييمُها أمراً مشكل. كما أنّه ونسبة لطبيعة أعراف الاتصال/التواصل النشطة و التي تقصر عن ملاحقتها الأبحاث ، فليس للناقد الترجمي إلا المجاهدة لمتابعة التطورات المتلاحقة حتى يتمكن من الحكم بعدالة على سلامة ما يمليه استخدام المرشّحات الثقافية من تعديلاتعلى النّص المترجَم.

حدود التكافؤ

ذكرنا فيما سبق أنّ التكافؤ مفهوم يميل إليه دعاة المنظور اللّغوي للترجمة أكثر من غيره. إلا أنّه و من ذات هذا المنظور اللّغوي أثير و يثار الغبار حول جدوى مفهوم التكافؤ ، زعما بأنّ التكافؤ مفهوم يسير عكس الحقائق الدالة على نسبية للّغة، و هذه الأخيرة هي ما تُعرف شيوعا **بفرضية وورفيان** القائلة بأنّ لغتنا الأم تشكل و تقيد فكرنا و سلوكنا. إنّ انزال هذا الأمر على الترجمة يوحي بعدم امكانية الوصول الى المعنى الحقيقي الكامن في للّغة المصدر و بعدم إمكانية إعادة انتاجه من قِبَل المترجم بسبب استحالة وجود توافق تام بين كلمات اللّغات المختلفة (المصدر و الهدف مثلا) ، ذلك أنّ المفردة في كل لغة تحمل دلالة لغويّة متميزة و تدخل مع غيرها من المفردات في علاقات تنتج مستويات مختلفة من الدلالات و المعاني. علاوة على ذلك، تشير فرضية وورفان الى أنّ المعنى المتفرد المرمّز في صيغة نحوية ما للأصل لابد و أن يضيع أيضا في النص الهدف نسبة لما تقتضيه الترجمة من ضرورات لتغيير هذه الصيغه.بناءاً على ما سلف ،فالتقابل في الصِّيغ بين اللّغات أمر لا وجود له، و ما إمكانية ترجمة نص الى آخر إلا ضرب من المستحيل: أي أنّ التكافؤ الوحيد الذي يمكن إنشاده هو بالضرورة ذلك التكافؤ ذو الطبيعة الأدائية.

لكن يا تُرى ما مدى صمود **فرضية نسبية للّغة** هذه؟ إنّ هذه الفرضية في صورتها القوية، ترقى الى مرتبة الحتمية اللّغوية، أي أنّ قواعد للّغة و مفرداتها التي درجنا في إطارها اجتماعيا هي ما يحدد فكرنا و سلوكنا. فهل ثمّة دليل على أنّ ما لنا من لغة يمتلك تلك القبضة المهيمنة التي تجعلنا نرى العالم حولنا فقط من خلال منظارها هي و لا تترك لنا براحا لنبصر ما تبديه اللّغات الأخرى دع عنك ترجمتنا إيّاها؟ على خلاف ما كان عليه الحال في خلال الخمسين سنة الأخيرة من ندرة لافتة في الدراسات حول فرضيّة وورفان في نسختها القوية تلك، إلا أنّ الأهتمام بها عاد و برز

مؤخرا، و وجدنا عددا من الدراسات الأمبريقية حول الكيفية التي بها تتشابك اللّغة و الفكر و الواقع عند تناول مجالات بيّنة الإنحصار (كالمكان و الزمن و اللّون). رغم أنّ عددا من هذه الدراسات أشار الى وجود فروقات في الطريقة التي ينخرط بها متحدثو اللّغات المختلفة في "منطق اللّغة" – أي ادراك حيِّزَي الزمان و المكان و التفاعل بين المتحدث و المستمع – إلا أنّ هذه النتائج لا تخولنا الاستخلاص بأنّ الفروقات هذه ترقى إلى درجة فروقات قاطعة في النظرة الكلية للعالم و تنطوي على معضلات تواجه الترجمة. بعبارة أخرى يمكن القول بأنّه رغم إمكانية أقسام الكلام في توجيه لناس إلى إدراك العالم على نحو معيّن، إلا إنّها لا تحدد هذه المدركات؛ فاللّغة تمتاز بالمرونة و تمتلك في داخلها مقدرة إبداعية تمكنّها من تجاوز ما لأقسام كلامها من تميّز. إنّ متاحات و امكانيات أنظمة اللّغات على نطاق العالم ليست بالمختلفة جدا: فالفروقات بين اللّغات فروقات في درجة المباشرة و التركيز أكثر من كونها فروقات في النوعية؛ فما تبتنيه لغة في طبقات تركيبها تعبر عنه لغةٌ أخرى بطرقة عفوية و منبتة، إلا أنّ كل اللّغات تمتلك من الموارد ما تعبر به عن أي خبرة حياتية بطريقة متساوية. و **المبدأ العام لإمكانية التعبير** هذا يومئ أيضا الى وجود **ألمبدأ العام لإمكانية الترجمة** (القابلية للترجمة).

إنّ تفكيرنا يتاثر لدرجة ما بما لدينا من منظومة لغويّة نستخدمها للتعبير عن الوقائع الحياتية، ذلك ببساطة أنّ المفاهيم المرمّزة في مصطلح وحيد تكون متاحة بصورة أسهل من المفاهيم التي لا يتوفر لها أيّ مصطلح؛ و على كلٍ فإبداع كل مستخدم للّغة هو ما يضمن عدم تغول اللّغة على فكره. و من باب تشخيص لغة البشر فلربما جاز لنا إذا أن نضيف للمبدأ العام لإمكانية الترجمة (القابلية للترجمة) مبدءاً آخر هو مبدأ إمكانية التصور و الادراك؛ و هذه الأوجه في لغة البشر هي ما تبرزه الترجمة و تستفيد منه.

خلاصة القول فليس ثمة علاقة تبادلية مباشرة بين اللّغة والفكر و الواقع. فأهل اللّغة ليسوا بأسرى لدى اللّغة التي يتحدثونها، و هنالك دوما يتوافر المهرب عبر الإمكانات الإبداعية للّغة ذاتها، و كذا عبر إبداع مستخدمها. فاللّغة و الفكر و الواقع تكون في حالة تفاعل مستمر فيما بينهم؛ و هذا ما ينتج عملية التواصل/الاتصال، و ما يترتب على الترجمة من العمل هو تبيين الكيفية التي يتحقق بها هذا التفاعل في هذا الموضع أو ذاك من النّصّ.

و على كلٍّ فرغم ما لمبدأ إمكانية الترجمة (القابلية للترجمة)من حضور و فائدة، إلا أنّنا يجب أن لا نغفل ما هو مؤكد من حدود لهذه الإمكانية. فبدءأ نجد أنّ هذه الأمكانية و القابلية للترجمة محدودة إذا ألقينا نظرة فاحصة على ما يمكن تسميّته بـ "الإيحاءات الخاصة": أي كل تلك التداعيات العاطفية-الوجدانية التي يسبغها الفرد على تعابير معينة. فلن يكون من المتيسر الإجابة على اسئلة تدور حول ما هية الإيحاءات المحددة التي كانت في ذهن كاتب النص و إن ما كان في ذهن المترجم مثيلها؛ والسبب في ذلك يرجع الى حقيقة أنّ مثيل هذه الإيحاءات الخاصة يتحدى صريح التحديد، و يختلف حتى داخل ذهن الفرد الواحد بحسب المزاج و الموقف. إنّ عظم الصعوبة التي تكتنف الترجمة الأدبية تأتي أساسا من حقيقة أنّ النّصوص الأدبية تعجّ بالإيحاءات التي تتأبى على الإمساك.

و يظهر أيضا تقييد آخر على القابلية للترجمة حين تخرج اللّغة عن اطار دورها التواصلي "المعتاد"، و نعني بذلك حين يصبح القالب اللّغوي هو في ذات نفسه عنصرا جوهريا داخل الرسالة كما في الأدب و على وجه الدقة في الشعر مثلا. فالمعنى و القالب في الشعر يعملان معا بصورة لصيقة و لا يعد أمر ارتباطهما أمرا اعتسافيا، فإن تغيّرا تغيّر المعنى في المقابل. لذا نجد أنّ الترجمة الأدبية لا تسعها أنشطة لغوية أخرى من قبيل إعادة الصياغة و التعليقات و التوضيحات و الصك و الاستلاف لمفردات و لعبارات من لغة أخرى، و هذه كلها من حيث المبدأ تجعل أمر ترجمة الأجناس الأدبية الأخرى أمرا ممكنا. و هناك ضرب آخر للأداء "فوق العادة" الذي يمكن ان تقوم به اللّغة يتمثل في الأشكال المتعددة للعب بالكلمات، و هو أمر يرتبط كثيرا بنظام اللّغة المعينة لدرجة تجعله عصيّا على الترجمة. خذ مثلاً هذه التورية باللّغة الإنجليزيّة:

"Is life worth living? It depends on the liver!" ("هل تستحق الحياة الحياة؟ ذلك يعتمد على من يحياها/الكبد!" – المترجم)

فهذا اللعب على الكلمات غيرقابل للترجمة لما لكلمة "liver" من معنىً مزدوج (من يحيى و الكبد- المترجم) و هو أمر لا يمكن من حيث المبدأ إعادة استنساخه بلغة أخرى.

هناك منحىً آخر يرتبط بعدم القابلية للترجمة يتمثل في ما يمكن أن نطلق عليه "اللّغة الما ورائيّه". منطق هذا المفهوم يقول حيث أنّ اللّغة هي جزء من واقعنا و أننا نستخدم اللّغة للتعبير عن هذا الواقع في كل تجلياته، فإذا بالإمكان أن نستخدم اللّغة للحديث عن اللّغة نفسها. هذه هي إذا

للّغة الما ورائية التي لا تكون فيها للّغة فقط وسيط للتواصل، بل أيضا موضوع للتواصل. و يقال أحيانا أنّ هذه للّغة الما ورائية غير قابلة للترجمة، خذ مثلاً هذه الجملة الإنجليزيّة:

‘ You have written “skill” with a “c” again, instead of a “k” ‘

(و ترجمتها: لقد كتبت ثانية "المهارة" بحرف ال "c" بدلا عن حرف "K")

ففي هذه الجملة نجد أنّ الكلمة الإنجليزيّة لـ"مهارة" و الحرفين "c" و "K" لا يمكن ترجمتهما لأنّ الرسم المادي لكلمة ‘skill’ (مهارة) لا يمكن استنساخه في أي لغة أخرى خلاف للّغة الإنجليزيّة.

٣. قائمة بالمصطلحات المستخدمة (Ali, 2007)

Equivalence: التكافؤ

Aethetic Function of Language: الوظيفة الجمالية للّغة

Affective meaning: المعنى الوجداني

Alliteration: الإستهلالي

Associations: التداعيات

Communication:الاتصال/نقل المعاني

Conceptual meaning: المعنى التصوري

Connotations: الإيحاءات/ظلال المعاني

Contrastive analysis: التحليل التقابلي

Contrastive linguistics: علم اللّغة التقابلي

correspondence: التطابق

Covert translation: ترجمة الإضمار/الترجمة الخفية

Cultural adaptaion: التكييف الثقافي

Cultural approximation: المقاربة الثقافية

Cultural context: السياق الثقافي

Cultural equivalence:التعادل الثقافي

Culture: الثقافة

Culture-specific words:الكلمات الخاصة بثقافة معينة

Differentiation: التمييز

Discourse:الخطاب

Domain:المجال

Dynamic equivalence:التعادل الدينامي

Emotive: عاطفي

Equivalence: التعادل

Form: الشكل/ الصيغة

Formal equivalence: التعادل الشكلي/البنيوي

Formal language: اللّغة الرسمية/الفصيحة

Function:الوظيفة

Functional equivalence: التعادل الوظيفي

Functional translation:الترجمة الوظيفية

Genre: الجنس الأدبي

Implicature: التضمين

Interlingual translation: الترجمة بين اللّغات

Interpretation:الترجمة الشفهية

Interpretation: التفسير

Intersemiotic translation:الترجمة بين النظم الرمزية

Intralingual translation:(داخل اللّغة) الترجمة الداخلية

Lexical equivalence:التعادل المعجمي/المفرداتي

Lexical meaning:المعنى المعجمي

Linguistic equivalence:التعادل اللّغوي

Linguistics: علم اللّغة/اللّغويات

Machine translation:الترجمة الآلية

Metalingual (metalinguistic) Function of Language:وظيفة تفسير اللّغة باللّغة

Modality: التحوير الدلالي

Original Text: النّصّ الأصلي

Overt translation: ترجمة الإظهار (الترجمة الصريحة)

Pragmatics: المقاميّات/الذرائعية/العملية

Pun: التورية

Referent: المدلول

Register: اللّغة الخاصة

Rephrasing: إعادة الصياغة

Semantic and communicative translation:الترجمة الدلالية و الترجمة الاتصالية

Semantics:علم الدلالة

Skopos theory: نظرية الوظيفة

Source language: لغة المصدر

Source text: النّصّ المصدر

Speech community:مجتمع كلامي (اللّغة)

Target language:اللّغة الهدف

Target text:النّصّ الهدف

Tenses:الصيغ الزمنية

Text function:وظيفة النّصّ

Textual context:السياق النّصّي

Textual equivalence:التعادل النّصّي

Translating:عملية الترجمة

Translation:الترجمة التحريرية

Translation equivalence:التعادل (التطابق/التماثل) في الترجمة

Translation methods:طرائق الترجمة

Translation purpose:الغرض من الترجمة

Translation shifts:نقلات الترجمة

Translation strategy: استراتيجية الترجمة

Untranslatability: عدم القابلية للترجمة

٤. ثبت بالمراجع

-Ali, A. (2007). *Encyclopedia of Translation Terminology English-Arabic*. College of Graduate Studies & Research,Sharjah University, UAE.

-Bassnett-McGuire, S. (1985) 'Ways through the labyrinth. Strategies and methods for translating theatre texts' in Hermans, Th. (ed.) *The Manipulation of Literature. Studies in Literary Translation*. London: Croom Helm Ltd, pp. 87-103.

-Browne, A. (2006). *The Retreat of Reason*. London: Civitas.

-House, J. (2009).Translation. in Widdowson, H.G. (ed) *Oxford Introduction to Language Study.* Oxford University Press.

-Pennycook, A. (2001). *Critical Applied Linguistics: a critical introduction.* London: LEA.

-Troudi, S. (٢٠٠٦). A review of Pennycook's book: Critical Applied Linguistics. *TESOL Quarterly, 37*(4), 20-24.

-Waters, A. (n.d.). Interview with Alan Waters, UK, on 'critical theory-based pedagogy'. *The Teacher Journal,24, (*2), 16-17.

-عبد الرحمن السليمان (٢٠٠٦) أوروبا متعطشة الى الأدب العربي فأين المترجمون والناشرون للمهمة - الحضارية؟ استعيد بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٢٦ من:
*http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?s=056dd1b929743f11e849e447742154c7&t=6855*__

٥. الملحقات

٥.١. النّصّ الأصلي للكتاب

(انظر الصفحات التالية)